المكتبة الثقافية

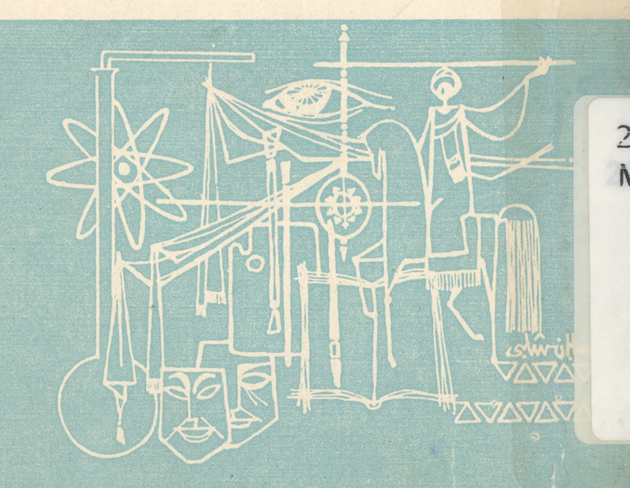
العدد ٢٠٨

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر

دار الكاتب العربى للطباعة والنشر

الإسراء والمعراج

بقلم : الدكتور عبد الحليم محمود



المكتبة الثقافية
جامعة حرة
٢٠٨

الإسراء والمعراج

بقلم: الدكتور عبد الحليم محمود

وزارة الثقافة
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر
دار الكاتب العربي للطباعة والنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على من أسرى به الله من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ليريه من آياته الكبرى ، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه الى يوم الدين :

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب .. ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدا .

مقدمة

في مسجد مولانا الحسين رضي الله عنه ، في شهر رجب من العام الماضي (١) ، احتفلت الجمهورية العربية المتحدة عن طريق التليفزيون ـ في برنامج نور على نور ـ بليلة الاسراء والمعراج ، مشاركة بذلك للعالم الاسلامي كله ، ومعبرة بهذا الوضع عن الأهمية الكبرى التي لهذه الليلة المباركة .

وقد حضر الحفل كثير من كبار السادة المسئولين في مختلف الوزارات وفي الأزهر . وقد دعاني المشرفون على البرنامج ـ مشكورين ـ للحديث مع من دعي في تلك الليلة المباركة ، وانتهزتها فرصة لأقول رأيي بصراحة ، في نقطة من هذا الموضوع ، حيث أتيح اعلانها في أوسع دائرة ممكنة من المستمعين في المسجد ، ومن المشاهدين على الشاشة .



لقد كان في المعراج مناجاة ووحي ورؤية :

أكانت المناجاة مع جبريل عليه السلام ، والوحي

---

(١) سنة ١٣٨٧ هـ .

من جبـــريل عليه الســـــلام ، والرؤية لجبـريل عليه السلام ؟ ، أم كانت المناجاة مع الله سبحانه وتعالى والوحى من الله تعالى ، والرؤية لله تعالى ؟

لقد قلت فى حديثى ان محمدا صلى الله عليه وسلم ، وصل الى أفق لم يعد فيه مكان لجبريل ، وارتقى الى مستوى من النور ، لم يكن لجبريل عليه السلام ، فيه مجال ، فكان محمد صلى الله عليه وسلم ، فى الحضرة الالهية ، دون واسطة ٠

فناجى محمد ، عليه الصـــلاة والسلام ، ربه عز وجل ٠

وأوحى اليه ربه ما أوحى

ورأى محمد ربه :

« ماكذب الفؤاد مارأى »

واستندت الى ماجاء فى حديث البخارى :

« ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى ، فكان منه قاب قوسين أو أدنى »

وقلت ان محمدا ، صلى الله عليه وسلم ، فى هذا الأفق كان وحده ، وكان جبريل عليه السلام فى أفق أقل : فكانت المناجاة مع الله ٠

وكان الوحى من الله

وكانت الرؤية لله تعالى ٠

ولم يستغرق حديثى أكثر من ربع ساعة ، قلت فيها ـ فى لمحات خاطفة ـ كل ماكنت أريد أن أقول : فى الموضوع عامة ، وفى هذه النقطة خاصة •

ثم نزلت من على المنصة ، وكأننى قد تخففت من حمل ، وكأننى قد برئت من مسئولية •

وظننت أن الأمر قد انتهى ، وأننى قد أسمعت ، وأن الكلمة ستأخذ مجراها ، وأن الله سيفتح لها آذانا ويشرح لها صدورا •

***

وما ان انقضى الحفل ، حتى التف حولى كثير من ذوى البصائر الرشيدة ، يرجـــون أن أكتب فى الموضوع : أفصل ما أجملت ، وأستفيض فيما كان أشبه بلمحات ، وأوضح هذا الذى وقع من أنفسهم موقع الاستحسان ، والغرابة فى أن واحد ، من أن محمدا ، صلى الله عليه وسلم ، وصل الى أفق كان فيه فى الحضرة الالهية وحده دون حجاب •

وعددت هذا منهم مجاملة ، قابلتها بمثلها ، وشكرت لهم حسن ظنهم ، ورجوت من الله التوفيق لى ولهم •

ولو اقتصر الأمر على هذا لما حفزنى ـ فيما يحتمل ـ على العودة الى الموضوع دارســـا وباحثا • ولكن بعض الدوائر فوجىء بأمر لم يكن يتوقع أن يسمعه ، ولم يكن يرى فيه مارأيت ، وأخذ يتساءل :

هل هذا الذى استندت اليه صحيح ؟

وهل المراجع التى نقلت عنها موضع ثقة ؟

وهل جاء حقا فى أحد الأحاديث الصحيحة : ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى ؟

واتصلوا ـ عفا الله عنهم ـ بهذا وذاك ممن لهم دراية بالسنة : يستفسرون ويسألون عن صحة المراجع والوثائق ٠

وعن سند الحديث وعن متنه ٠

وعن الكتب التى روته ٠

وعن رواته ٠

وعما اذا كان حقا قد رواه البخارى ٠

وتناقشوا ، واتفقوا ، واختلفوا ، ثم انفضت الاجتماعات ، وقد علموا أن المصادر موثوق بها ، وأن الأحاديث النبوية التى استندت اليها صحيحة ، وأنها رويت فى صحيح البخارى ٠

ولكن بعضهم بالرغم من ذلك ، ضاق بهذه الصحة ضيقا شديدا وتمنى أن لو كان الأمر على خلاف ذلك ٠

وهذا ما حفزنى الى العودة الى الموضوع من جديد ٠

لقد عدت الى القرآن وتفسيره فى مختلف التفاسير، وخصوصا تفسير الامام ابن كثير فى موضوع الاسراء

والمعراج ، وكذلك تفسير الامام الألوسى ، وحاشية الامام الصاوى . والى صحيح الامام البخارى ، وشرح الامام ابن حجر له فى مختلف الأمكنة التى تحدث فيها عن الاسراء والمعراج .

والى صحيح الامام مسلم ، وشرح الامام النووى له.

والى الخصائص الكبرى للامام السيوطى .

والى الشفاء للقاضى عياض .

والى كتب السيرة ، وخصوصا سيرة ابن هشام وتعليق السهيلى عليها .

ولقد نعمت بفترة من البحث أحمد الله عليها .

* * *

وما من شك فى أننى لم أخترع رأيا ولم أبتدع فكرة ، ولم أجىء بما لم يكن موجودا وكل مافى الموضوع أننى حاولت ـ فى هذه النقطة التى كانت مثار سؤال وبحث ـ أن أبرز ماحاول البعض المرور عليه مرورا عابرا وأن أظهر مالم يكن البعض يقف عنده وأن أعلن عما كان موجزا لا يكاد يبين عنه بعض الكاتبين .

لست اذن بدعا فى الرأى ولا مبتدعا فيه .

* * *

على أن هذه النقطة التى كانت مثار بحث ، ليست أبرز شىء فى هذا الكتاب ، بل انها لم تستغرق منه

مكانا كبيرا ، لقد أردت على الخصوص أن أبين أن قصة الاسراء والمعراج انما تمثل :

١ ـ منهج حياة فى العقيدة
٢ ـ منهج حياة فى الأخلاق

انها منهج الحياة الروحية فى حياة المسلم •

وهذه النقطة بالذات هى التى استفضت فيهـا ، والتى أرجو أن أكون قد صاحبنى فيها التوفيق •

ان بعض المسلمين يحتفلون بهذا الحادث ، على أنه حدث تاريخى مجيد ، ثم يمرون به على أنه معجزة وقعت لسيدنا محمد ، صلى الله عليه وسلم ، فأظهرت ماله من فضل ، وبينت ماله من مكانة ، فاذا ماشرحوها من هذا الجانب : فكأنهم قد أوفوا الموضـوع حقه ، وقالوا فيه ما يمكن أن يقال •

ولكن أمر الاسراء والمعراج ، أوسع وأعم من أن يكون حدثا تاريخيا ، انقضى وانتهى ، وذلك أنه رسم لحيـاة المسـلم ، وفيه من العظات والعبر مالا يكاد يحيط به الانسان ، وسنحاول بتوفيق الله أن نكتب عنه فى هذه الجوانب والزوايا •

والله نرجو أن تمتد لهذا الكتاب الأعين ، وأن تتفتح له الآذان وأن يشرح الله له الصدور وأن يهدى له ، وأن يهدى به ، انه سبحانه قريب مجيب •

وما توفيقى الا بالله ، عليه توكلت واليه أنيب •

الفصل الأول

بين يدى الإسراء والمعراج

سيدنا رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليه ، معجزة التاريخ ، وهو المنــــارة التى يهتدى بها الانسان كلما انبهمت الأمور ، أو ضلت الآراء •

وحياته قبل البعثة كحياته بعدها ـ : عظة وعبرة ، وهداية ومثل أعلى لمن أراد الطريق الأقوم •

ان من يتدبر حياته صلوات الله عليه قبل البعثة ، ولا يكون عنده فكرة صحيحة عن النبوة من حيث انهـــا لا تكتسب اكتسابا ، وانما توهب من الله تعالى : يكاد يعتقد انه اقتنص الوحى اقتناصا ، واضطره الى النزول اضـــطرارا ، وأنه أبى الا أن يظفر بما يريد فكان له ما أراد •

بيد أن الصــــواب هو أن الله اصطفاه ، وفضله بالنبوة والرسالة على العالمين ، عندما حان الموعد الذى حددته العناية الالهيـــة ، لتتجلى عن طريق من اختارته رسولا •

يقول الامام المراغى رحمه الله :

« النبوة هبة لاتنال بالكسب ، لكن حكمة الله وعلمه : قاضيان بأن تمنح للمستعد لها : القادر على حملها :

« الله أعلم حيث يجعل رسالته »

ومحمد ، صلى الله عليه وسلم ، أعد لأن يحمل الرسالة للعالم أجمعه ، أحمره وأسوده ، انسه وجنه ، وأعد لأن يحمل رسالة أكمل دين .

ولأن يختم به الانبياء والرسل ، وليكون شمس الهداية وحده ، الى أن تنفطر السماء ، وتنكدر النجوم ، وتبدل الأرض غير الأرض والسموات » (١) أهـ

أما هذا الاعداد ، فقد حاطه الله بعنايته التامة ، انه أعده من ناحية أسرته : أعني من ناحية الوراثة ، وأعده من ناحية فطرته : أعني طبيعته الشخصية .

أما من ناحية أسرته ، فهذا جده عبد المطلب كان « سمح الطبع ، رضى النفس ، سخى اليد ، حلو العشرة ، عذب الحديث .

وكان عبد المطلب أيضا قوى الايمان تملك قلبه ، وتسيطر على نفسه نزعة دينية حادة عنيفة ، ولكنها غامضة ، يحسها ويخضع لها ، ولكنه لا يتبينها ، ولا يستطيع لها فهما ولا تفسيرا .. » (٢)

كان فتى من فتيان قريش ، ولكنه يمتاز عن بقية فتيان قريش :

---

(١) عن مقدمة « حياة محمد » للدكتور هيكل .

(٢) انظر كتاب « على هامش السيرة » .

فيه ذكاؤهم وفطنتهم ، وفيه اباؤهم وعزتهم ، ولكن فيه دعة ، لم تكن مألوفة عندهم وفيه شدة من الدين ، قلما كانوا يرضونها أو يبسمون لها .

على أن خصلة أخرى ميزته منهم أشد التمييز ، فلم يكن يصدر فى حياته ـ كما كانوا يصدرون ـ عن الرويه والتفكير ، وطول التدبير ، وانما كانت تدفعه الى العمل ، والاضطراب فى الحياة قوة خفية ، يحسها ويأبى عليها ، ويغلو فى الاباء ولكنه يضطر الى أن يذعن لها ويصدع بأمرها .

وكانت هذه القـــوة تصدر اليه أمرها فى أشكال مختلفة : تدفعه الى العمل حينا وكأنها ارادته الخاصة ، قد ملكت عليه حسه وشـــعوره ، فهو لا يستطيع عنها انصرافا ولا يملك لها خلافا .

وتتمثل له حينا آخر شخصا ، واضح المخـــايل ، بين الصوت ، يلم به اذا اشتمله النوم ، فيأمره أن يأتى كذا وكذا من الأمر .

« وكان فى هذا الصوت غموض ، وكان فى هذا الصوت ابهام ، وكان فى هذا الصوت جلال مصدره هذا الغموض والابهام ، وكان الفتى ينكره ، ويرتاع له ، وكان الصوت يغمره ويلح عليه ، وكان الفتى يخاف هذا الصوت ويهواه ، وكان هذا الصوت يتجنب الفتى حتى يؤيسه من

نفسه ، ويلم به فيكثر الالمام . ولم يكن هذا الصوت يقع في أذن الفتى بألفاظ كالتى تقع فى آذان النـاس ، انما كان يصطنع ألفاظا خاصة ، غريبة الجرس غريبة المعنى » (١) اهـ

أما والده — عبد الله — فقد كان صورة طبق الأصل من جده ، وكان شعاره :

« أما الحرام فالممات دونه »

وتقول له فاطمة الخثعمية :

« انى لأعرف فيك نسك أبيك »

قبيلته قريش ، وأسرته : بنو هـــاشم ، وجده : عبد المطلب : سيد قريش اذ ذاك ، ووالده عبد الله : فكان هو محمدا .

ولقد اختاره الله للرسالة ، ولكنه ، تعالى : اصطنعه لنفسه ، قبل أن يختاره ، أجل ! وهذه الفترة من حياته ، التى سبقت البعثة ، كانت فترة جهـــاد وصراع روحى هادىء بكل معنى الهدوء ، عنيف أشد العنف ، مستمر لا ينقطع ، فيه الحزن ، وفيه الرجاء ، وفيه الكثير من الأمل الوثاب ، الذى يشحذ العزيمة ويسد على اليأس القانط كل منفذ .

---

(١) من كتاب « على هامش السيرة » .

ان هذه الفترة من حيـــاته كانت ـ على حد تعبير الجنيد فى تعريف التصوف ـ عنوة لا صلح فيها ٠

كان صلوات الله عليه ، يتوج كل عام ، جهـــاده الروحى المتصل ، بشهر يقضـيه فى غار حراء : حيث الخلوة التامة ، وحيث التجرد المطلق ، أو شبه المطلق ، عن كل ما سوى الله ، وهناك فى سجوة الليل ، أو فى رائعة النهار يحاول محمد أن يحطم الحجب ، وأن يخترق المساتير ، وأن ينفذ ببصيرته الى عالم الغيب ، فيصـــل الى سدرة المنتهى ، والى قاب قوســـين ، أو أدنى ، حتى يشاهد الجمال فى سنائه ، والجلال فى عظمته ، وكبريائه ، وجلاله ٠

هاهو ذا الرسول ، صـلى الله عليه وسلم ، يبذل مجهودا جبارا ، لا يكاد الانسان يتصوره ، فضلا على أن يأتى بمثله ٠

وهاهو ذا ، يرى الهـــدف بعيدا لا يكاد الانســان يفهمه ، فضلا على أن يصل اليه ٠

هاهو ذا ، يرى الطريق وعثاء ، صعبة المرتقى ٠٠ بيد أن ذلك كله : لم يكن الا ليزيده عزما على عزم ، وارادة على ارادة ، ونشاطا مضاعفا ٠

انه الجهاد الأكبر ، على حد تعبير الأثر المشهور ؛ عن جهاد النفس لتتزكى ٠

وتمضى السنون بطيئة سريعة فى آن واحد ، وجهاد الرسول ، صلى الله عليه وسلم ،لا يفتر ، حتى أصبح أو كاد روحا خالصة ، أو قبسا من نور الله ، وانتهى به الأمر الى قرب ، يقول عنه الامام الغزالى انه :

« أول حال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : حين أقبل على جبل حراء ، حيث تبتل ، حين كان يخلو فيه بربه ويتعبد حتى قالت العرب :

« ان محمدا عشق ربه ! »

ثم كانت الرســالة ، وكانت المعــجزة التى غيرت مجرى التاريخ :

« اقرأ باســم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم »

ويقول الدكتور هيكل :

« وجد محمد فيه (فى التحنث) خير مايمكنه : من الامعان فيما شغلت به نفسه ، من تفكير ، وتأمل ، كما وجد فيه طمأنينة نفسه ، وشفاء شغفه بالوحدة ، يلتمس أثناءها الوسيلة الى مالم يبرح شوقه يشتد اليه ، من نشدان المعرفة ، واستلهام مافى الكون من أسبابها .

وكان بأعلى جبل حراء ــ على فرسخين من شــمال مكة ــ غار ، هو خير مايصــلح للانقطاع والتحنث فكان

يذهب اليه طوال شهر رمضان ، من كل سنة ، يقيم به مكتفيا بالقليل من الزاد ، يحمل اليه ، ممعنا فى التأمل والعبادة ، بعيدا عن ضجة الناس ، وضوضاء الحياة ، ملتمسا الحق، والحق وحده .

ولقد كان يشتد به التأمل ابتغاء الحقيقة ، حتى لقد كان ينسى طعامه ، وينسى كل مافى الحياة ، لأن هذا الذى يرى فى حياة الناس مما حوله : ليس حقا ..

« وشارف محمد الأربعين ، وذهب الى حراء يتحنث، وقد امتلأت نفسه ايمانا بما رأى فى رؤاه الصادقة ، وقد خلصت نفسه ... وقد أدبه ربه ، فأحسن تأديبه ، وقد اتجه بقلبه الى الصراط المستقيم ، والى الحقيقة الخالدة ، وقد اتجه الى الله بكل روحه ، أن يهدى قومه ، بعد أن ضربوا فى تيهاء الضلال .

وهو فى توجهه هذا يقوم الليل ، ويرهف ذهنه وقلبه ، ويطيل الصوم ، وتثور به تأملاته ، فينحدر من الغار الى طريق الصحراء ، ثم يعود الى خلوته ، ليعود فيمتحن مايدور بذهنه ، وما يتبين له فى رؤاه .

ولقد طالت به الحال ستة أشهر ، حتى خشى على نفسه عاقبة أمره ، فأسر بمخاوفه الى خديجة ، وأظهرها على مايرى ، وأنه يخاف عبث الجن به . فطمأنته الزوج المخلصة الوفية ، وجعلت تحدثه بأنه الأمين ، وبأن الجن لا يمكن أن تقترب منه ، وان لم يدر بخاطرها ولا بخاطره :

أن الله يهيىء مصطفاه بهذه الرياضة الروحية ، الى اليوم العظيم ، والى النبأ العظيم ، يوم الوحى الأول ، ويهيئه بها الى البعث والرسالة :

وفيما هو نائم بالغار يوما ، جاءه ملك ، وفى يده صحيفة ، فقال له : « اقرأ » (١)

كانت « اقرأ » مفتتح عهد جديد فى حياة الرسول، صلى الله عليه وسلم ، فمنذ تلك الآونة لم يترك رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، الدعوة الى الله قط ، كان يدعو ليلا وكان يدعو نهارا ، وكان يدعو فى كل لحظة من لحظاته .

يروى الامام أحمد عن ربيعة بن عباد ، وكان جاهليا أسلم ، يقول :

« رأيت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بصر عينى بسوق ذى المجاز يقول :

« يا أيها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا » .

ويدخل فجاجها والناس متقصفون (٢) عليه . فما رأيت أحداً يقول شيئاً . وهو لا يسكت يقول :

يا أيها الناسُ قولوا لا اله الا الله تفلحوا »

أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بمكة ثلاث

---

(١) من « حياة محمد » للدكتور هيكل .

(٢) أى مجتمعون عليه .

سنين ، من أول نبوته ، مستخفياً ، ثم أعلن فى الرابعة ، فأخـذ يدعو الناس الى الاسـلام ، عشر سنين ، يوافى المواسـم ، كل عام يتبع الحاج فى منازلهم فى المواسـم بعكاظ ، ومجنة ، وذى المجاز ، يدعوهم الى ان يمنعوه ، حتى يبلغ رسـالات ربه ، ولهم الجنـة ، فلا يجـد قبيلة تنصره ، أو رئيساً يجيبه ، حتى أنه ليسأل على القبائل ومنازلها قبيلة قبيلة ويقول :

« يا أيها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا ، وتملكوا بهـا العرب ، وتذل لكم العجم ، واذا آمنتم كنتم ملوكا فى الجنة »

وكانت قريش تقف في وجه انتشار الدعوة معارضة لها ، ومنكلة بمن يعتنقها ما استطاعت الى ذلك سبيلا ٠

ولكن الدعوة كانت تنتشر شيئاً فشيئاً ، كان يعتنق الاسلام من تحرر من رق العادة والالف ، ومن طلب الحق والرشاد ، ومن يصـبر على ايذاء قريش ، ومن لا تؤثر فيه دعاية القرشيين ٠

ونذكر من هذا مثالين :

كان ضماد رجلا من أزد شنوءة تخصص فى معالجة الأمراض العقلية ، كان يعالج بالرقى ، ويعالج بالايحاء ، ويعالج باللمس والدعاء ، وكانت مكانته فى ذلك الزمن مـكانة من نسـميهم نحن فى العصر الحاضر بالأطبـاء النفسيين ٠

ويذكر الامام مسلم والامام البيهقى قصته

لقد قدم ضماد مكة « وكان يرقى من هذه الرياح » فسمع سفهاء مكة يقولون :

ان محمدا مجنون ٠

سمع هذا الخبر هنا وسمعه هناك ، وعلم من الجو الاجتماعى ، ومن الأخبار الكثيرة أهمية محمد القصوى فى هذه المدينة ٠

وصدق ضماد الخبر واهتم به اهتماما كبيرا ، وخيل اليه انه اذا عالجه فقد اكتسب شهرة ، واكتسب مثوبة ، فقال :

أين هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدى ؟

ثم يقول :

فلقيت محمداً فقلت :

انى أرقى من هذه الرياح ، وان الله يشفى على يدى من شاء ، فهلم ٠

أى أنه يدعوه الى أن يستسلم له ليعالجه ٠

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، أشهد أن لا اله الا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً رسول الله ٠

وتعلقت عينا ضماد برسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وأنصتت أذناه ، وكان كيانه كله مرهفا مبهورا ثم قال :

والله لقد سمعت قول الكهنة ، وقول السحرة ، وقول الشعراء ، فما سمعت مثل هذه الكلمات ثم طلب من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، اعادتها وكان يسمع بجميع أقطاره ٠

ولم تكفه الاعادة فطلب من جديد أن يسمعها للمرة الثالثة ، ثم قال فور الانتهاء من سماعها ٠٠

هلم يدك أبايعك على الاسلام ، فقد بلغت كلماتك هؤلاء قاموس البحر ٠

ومعنى أنها بلغت قاموس البحر أنها تغلغلت الى أعمق أعماق نفسه ، وامتزجت بباطنه امتزاجاً كلياً ، وذلك أن قاموس البحر هو أعمق مكان فيه ٠

ولم ينس المسلمون فيما بعد موقف ضماد هذا ، فكانوا اذا مرت جيوشهم على قوم ضماد أحسنوا اليهم وقالوا فى مودة :

« انهم قوم ضماد » ٠

وكثيرا ما كانت تبلغ الدعوة الى التوحيد قاموس البحر ـ على حد تعبير ضماد ـ فلا يبالى من آمن بايذاء المشركين ٠

وهـذا أبو ذر الغفارى بلغت به كلمات التوحيد قاموس البحر ، فأعلنها على الملأ من قريش ، غير مبال بما يناله فى سبيلها من أذى ، ونترك الامام البخارى يذكر قصة اسلامه ·

روى الامام البخارى بسنده عن ابن عباس قال :

لما بلغ أبا ذر مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأخيه :

اركب الى هذا الوادى فاعلم لى علم هذا الرجل الذى يزعم أنه نبى يأتيه الخبر من السماء فاسمع من قوله ثم ائتنى ·

فانطلق الآخر حتى قدم وسمع من كلامه ثم رجع الى أبى ذر فقال له :

« رأيته يأمر بمكارم الأخلاق ، وكلاما ماهو بالشعر ·
فقال : ماشفيتنى مما أردت ·

فتزود وحمل شنة (١) له فيهـــا ماء حتى قدم مكة ، فأتى المسجد فالتمس رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ولا يعرفه ، وكره أن يسأل عنه ، حتى أدركه بعض الليل فاضطجع فرآه على فعرف أنه غريب ·

فلما رآه تبعه ولم يسأل واحد منهما صاحبه عن شىء حتى أصبح ·

---

(١) أى قربه ·

ثم احتمل قربته وزاده الى المسجد ، وظل ذلك اليوم ولا يراه النبى ، صلى الله عليه وسلم ، حتى أمسى ، فعاد الى مضجعه • فمر به على فقال :

أما آن للرجل أن يعلم منزله •

فأقامه فذهب به معه لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء •

حتى اذا كان اليوم الثالث فعاد على ، على مثل ذلك فأقام معه فقال :

ألا تحدثنى بالذى أقدمك ؟

قال : ان أعطيتنى عهدا وميثاقا لترشدننى فعلت •

ففعل فأخبره • قال :

فانه حق ، وانه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فاذا أصبحت فاتبعنى ، فانى ان رأيت شيئا أخاف عليك قمت كأنى أريق المـــاء ، وان مضيت فاتبعنى حتى تدخل مدخلى •

ففعل ، فانطلق يقفوه حتى دخل على النبى ، صلى الله عليه وسلم ، ودخل معه ، فسمع من قوله ، وأسلم مكانه •

فقال له النبى صلى الله عليه وسلم :

« ارجع الى قومك فاخبرهم ، حتى يأتيك أمرى » •

فقال : والذى بعثك بالحق لأصرخن بها بين ظهرانيهم •

فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته : أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، ثم قام القوم فضربوه حتى أضجعوه ٠

فأتى العباس فأكب عليه فقال : ويلكم ! ألستم تعلمون أنه من غفار ، وأن طريق تجارتكم الى الشام ؟

فأنقذه منهم ثم عاد من الغد بمثلها ، فضربوه وثاروا اليه ، فأكب العباس عليه ٠

كان المشركون كلما رأوا شخصا يدخل الاسلام ، زاد نشاطهم ، واتخذوا كل مايستطيعون من احتياطات حتى لا يدخل أحد بعد فى الاسلام ، وكان من احتياطاتهم :

١ ــ التنكيل والتعذيب والارهاب بكل الوسائل ٠

٢ ــ الدعاية الكاذبة ضد محمد صلى الله عليه وسلم ٠

٣ ــ الترغيب حيث لا يستطيعون الارهاب ، أو حيث لا يكون الارهاب مجديا ٠

وسوف لا نتحدث عن التنكيل والتعذيب الذى أوقعوه على المستضعفين أمثال :

بلال وعمار بن ياسر وسمية وأمثالهم » ٠

وسوف لا نتحدث عن الارهــــاب الذى استعملوه مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ومع الأسرة الهاشمية ، ولكننا نعرف أنهم استعملوا مع رسول الله ، صلى الله عليه

وسلم وسائل الترغيب أيضا فى أقوى وأخصب صورة ٠

وبينما كانت وســائل التعـذيب بالمستضعفين من المسلمين تجرى على قدم وساق لا فتور فيها ولا هدنة ، اذا بوسائل الترغيب والاغراء تكال الى رسول الله كيلا٠

وهذه صورة منها :

كان عتبة بن ربيعة سيدا فى قومه ، قال يوما ، وهو جالس فى نادى قريش ، ورسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، جالس فى المسجد وحده ، يامعشر قريش ، ألا أقوم الى محمد ، فأكلمه ، وأعرض عليه أمورا ، لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ؟ ٠

وذلك حين أســلم حمزة ، ورأوا أصحاب رســول الله ، صلى الله عليه وسلم يزيدون ويكثرون فقالوا :

بلى يا أبا الوليد ، قم اليه فكلمه ٠

فقام اليه عتبة حتى جلس الى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقال :

« يا ابن أخى ، انك منا حيث قد علمت : من البسطة فى العشيرة ، والكمال فى النسب ، وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت به جماعتهم ، وسفهت به أحلامهم ، وعبت به آلهتهم ، وكفرت من مضى من آبائهم ، فاسمع منى أعرض عليك أمورا ٠٠ تنظر فيها لعلك تقبل منى بعضها ٠

فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :

« قل يا أبا الوليد أسمع »

قال : « يا ابن أخي ، ان كنت انما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا ، جمعنا لك من أموالنا ، حتى تكون أكثرنا مالا .

وان كنت انما تريد به شرفا سودناك علينا ، حتى لا نقطع أمرا دونك .

وان كنت تريد به ملكا ملكناك علينا .

وان كان هذا الذى يأتيك رئيا تراه ، لا تستطيع رده عن نفسك ، طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ، فانه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه » .

حتى اذا فرغ عتبة ، ورسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يستمع منه ، قال :

لقد فرغت يا أبا الوليد ؟

قال : نعم .

قال : فاسمع منى .

قال : افعل .

قال : « **بسم الله الرحمن الرحيم ، حم تنزيل من**

الرحمن الرحيم ، كتـاب فصلت آياته قـرآنا عربيـا لقوم يعلمون ، بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون » •

« وقالوا قلوبنا فى أكنة ممـا تدعونا اليـه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون » •

« قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد ، فاستقيموا اليه واسـتغفروه وويل للمشركين ، الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون » •

ان الذين آمنوا وعملوا الصـالحات لهم أجر غـير ممنون ••• »

ثم مضى رسول الله ، صلى الله عليه وسـلم ، يقرؤها عليه ، فلما سمعها منه عتبة •• أنصت لها ، وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يسمع منه •

ثم انتهى رسول الله ، صـلى الله عليه وسلم ، الى السجدة ، فسجد ، ثم قال :

« قد سمعت يا أبا الوليد ماسمعت ، فأنت وذاك »

فقام عتبة الى أصحابه ، فقال بعضهم لبعض :

نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به •

فلما جلس اليهم قالوا :

« ماوراءك يا أبا الوليد ؟ »

قال : « ورائى أنى سمعت قولا ، والله ما سمعت مثله قط ، والله ماهو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة ٠

يامعشر قريش ، أطيعونى واجعلوها بى ، وخلوا بين هذا الرجل ، وبين ماهو فيه ، فاعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ ، فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب ، فملكه ملككم ، وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به » ٠

قالوا : « سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه » ٠

قال « هذا رأى فيه ، فاصنعوا مابدا لكم » ٠

قد يقول قائل انه لو عرض على محمد ، صلى الله عليه وسلم ، هذا العرض من هيئة تستطيع تنفيذه لقبل ٠ هذا القول ينقضه : أن عتبة كان مفوضا من زعماء قريش وينقضه أيضا الخبر الذى ترويه كتب السيرة :

لقد اجتمع عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو سفيان بن حرب ، والنضر بن الحارث ـ أخو بنى عبد الدار ـ وأبو البخترى بن هشام والأسود بن عبد المطلب بن أسد ، وزمعة بن الأسود ، والوليد بن المغيرة ، وأبو جهل بن هشام ، عليه لعنة الله ، وعبد الله ابن أبى أمية ، والعاص بن وائل ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج السهميان وأمية بن خلف ، اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة ، ثم قال بعضهم لبعض :

« ابعثوا الى محمد فكلموه ، وخاصموه ، حتى تعذروا فيه » .

« فبعثوا اليه ، أن أشراف قومك قد اجتمعوا ليكلموك فأتهم .

فجاءهم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، سريعا وهو يظن أن قد بدا لهم فيما كلمهم فيه ، وكان عليهم حريصا : يحب رشدهم ويعز عليه عنتهم ، حتى جلس اليهم فقالوا له :

« يامحمد ، انا قد بعثنا اليك لنكلمك ، وانا والله مانعلم رجلا من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك : لقد شتمت الآباء ، وعبت الدين ، وشتمت الآلهة ، وسفهت الأحلام ، وفرقت الجماعة ، فما بقى أمر قبيح الا جئته فيما بيننا وبينك .

فان كنت انما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا .

وان كنت انما تطلب به الشرف فينا فنحن نسودك علينا .

وان كنت تريد به ملكا ملكناك علينا .

وان كان هذا الذى يأتيك رئيا ، تراه قد غلب عليك ـ وكانوا يسمون التابع من الجن رئيا ـ فربما كان

ذلك ، بذلنـــا لك من أموالنا فى طلب الطب لك حتى نبرئك منه أو نعذر فيك » ·

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ما بى ما تقولون ، ما جئت بما جئتكم به ، أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم

ولا الملك عليكم

ولكن الله بعثنى اليكم رسولا ، وأنزل على كتابا ، وأمرنى أن أكون لكم بشيرا ونذيرا ، فبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم ·

فان تقبلوا ماجئتكم به ، فهو حظــكم فى الدنيـــا والآخرة ، وان تردوه على أصبر لأمر الله ، حتى يحــكم بينى وبينكم » ·

واستمر الأمر كذلك : لا يكف رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عن الدعوة الى الله ، ولا يكف المشركون عن المعارضة والايذاء : حتى كانت السنة الحادية عشرة من نبوته ، صلوات الله عليه وســـلامه ، وكان الاسراء والمعراج ، ارتد من ارتد ، وثبت من ثبت ·

كان حـــادث الاسراء والمعراج هــو حادث التصــفية الكاملة ، وكان الفيصـــل بين الطـــائفتين : طائفة مؤمنة ، ثابتة على ايمانها ، لا تزعزعهـا الأعاصير تميـد الجبـال ولا تحيد ، وطائفة مشركة ، قد أحكمت أمرها ، ورتبت

شئونها ، وجزمت العزم على أن تقضى على الاســـلام مهما طال الزمن ·

ما الاسراء والمعراج ؟

كيف حدثا ؟

وماذا تضمنا من مبادىء ؟

وما هى النتائج التى ترتبت عليهما ؟

الفصل الثانى

الإسراء والمعراج من الكتاب والسنة

نصوص قرآنية

بسم الله الرحمن الرحيم

« سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير » (١) •

« والنجم اذا هوى • ماضل صاحبكم وما غوى • وما ينطق عن الهوى • ان هو الا وحى يوحى • علمه شديد القوى • ذو مرة فاستوى • وهو بالأفق الأعلى • ثم دنا فتدلى • فكان قاب قوسين أو أدنى • فأوحى الى عبده ما أوحى • ماكذب الفؤاد مارأى • أفتمارونه على مايرى • ولقد رءاه نزلة أخرى • عند سدرة المنتهى • عندها جنة المأوى • اذ يغشى السدرة مايغشى • مازاغ البصر وما طغى • لقد رأى من آيات ربه الكبرى » (٢) •

« انه لقول رسول كريم • ذى قوة عند ذى العرش مكين • مطاع ثم أمين • وما صاحبكم بمجنون • ولقد رءاه بالأفق المبين • وما هو على الغيب بضنين (٣)

(١) الاسراء : آية ١ •

(٢) النجم : آية ١ : ١٨ •

(٣) التكوير : آية : ١٩ : ٢٤ •

ان في آيات ســـورة النجم الشريفة تكريما عظيما للرسول صلى الله عليه وسلم فقد :

١ ـ نزه الله علمه عن الضلال : «ماضل صاحبكم»
٢ ـ وعمله عن الغواية : « وما غوى »
٣ ـ ونطقه عن الهوى : « وما ينطق عن الهوى »
٤ ـ وفؤاده عن التكـــذيب : « ماكـــذب الفؤاد مارأى »

٥ ـ وبصره عن الزيغ : « مازاغ البصر (ما التفت الى غير الجهة التى تعنيه)

٦ ـ وعن الطغيان : « وما طغى » (والطغيان مجاوزة الحد)

ولقد أكد الله سبحانه وتعالى ذلك كله ، وأقسم عليه، ولاريب أنه ثناء من رب العزة على رسوله صلى الله عليه وسلم ، فى أروع صـــوره • وسنزيد هـــذه الآيات شرحا فيما بعد ان شاء الله •

الأحاديث النبوية

- ١ -

وقال الامام أحمد : حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا حماد بن سلمة ، أخبرنا ثابت البنـــانى ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال :

« أتيت بالبراق : وهو دابة أبيض ، فوق الحمار ودون البغل ، يضع حافره عند منتهى طرفه ، فركبته ، فسار بى حتى أتيت بيت المقدس ، فربطت الدابة بالحلقة التى يربط فيها الأنبياء ، ثم دخلت فصليت فيه ركعتين ، ثم خرجت ، فأتانى جبريل باناء من خمر ، واناء من لبن ، فاخترت اللبن ٠

فقال جبريل : أصبت الفطرة

قال : ثم عــرج بى الى الســماء الدنيــا ، فاستفتح جبريل ، فقيل له من أنت ؟

قال جبريل ، قيل ومن معك ؟ قال محمد ، قيل وقد أرسل اليه ؟ قال : قد أرسل اليه ، ففتح لنا فاذا أنا بآدم فرحب بى ودعا لى بخير ٠

ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل ، فقيل له : من أنت ، قال جبريل ، قيل ومن معك ؟ قال :

محمد ، قيل وقد أرسل اليه ، قال : قد أرسل اليه ففتح لنا فاذا أنا بابنى الخالة يحيى وعيسى ، فرحبا بى ودعوا لى بخير ٠

ثم عرج بنا الى السماء الثالثة ، فاستفتح جبريل فقيل له من أنت ؟ قال : جبريل قيل ومن معك ؟ ، قال : محمد ، قيل وقد أرسل اليه ؟ قال : قد أرسل اليه ، ففتح لنا فاذا أنا بيوسف عليه السلام ، واذا هو قد أعطى شطر الحسن ، فرحب بى ودعا لى بخير ٠

ثم عرج بنا الى السماء الرابعة ، فاستفتح جبريل فقيل من أنت ؟ قال : جبريل ، فقيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، فقيل وقد أرسل اليه ؟ قال : قد بعث اليه ، ففتح لنا فاذا أنا بادريس ، فرحب بى ودعا لى بخير ، يقول الله تعالى :

« ورفعناه مكانا عليا » ٠

ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فاستفتح جبريل ، فقيل : من أنت ؟ ، قال جبريل ، فقيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، فقيل : قد أرسل اليه ؟ قال : قد بعث اليه٠ ففتح لنا ، فاذا أنا بهارون ، فرحب بى ودعا لى بخير ،

ثم عرج بنا الى السماء السادسة فاستفتح جبريل ، فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ ، قال : محمد ، فقيل : وقد بعث اليه ؟ ، قال : قد بعث

اليه ، ففتح لنا ، فاذا أنا بموسى عليه السلام ، فرحب بى ودعا لى بخير ٠

ثم عرج بنا الى السماء السابعة ، فاستفتح جبريل ، فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ ، قال : محمد ، فقيل : وقد بعث اليه ؟ قال : قد بعث اليه ، ففتح لنا : فاذا أنا بابراهيم عليه السلام ، واذا هو مستند الى البيت المعمور ، واذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، ثم لا يعودون اليه ،

ثم ذهب الى سدرة المنتهى ، فاذا أوراقها كآذان الفيلة ، واذا ثمرها كالقلال ، فلما غشيها من أمر الله ماغشيها ، تغيرت ، فما أحد من خلق الله يستطيع أن يصفها من حسنها قال : فأوحى الله الى ما أوحى ، وقد فرض على فى كل يوم وليلة ، خمسين صلاة ٠

فنزلت حتى انتهيت الى موسى ، قال مافرض ربك على أمتك ؟ قلت خمسين صلاة فى كل يوم وليلة ، قال: ارجع الى ربك ، فاسأله التخفيف لأمتك ، فان أمتك لا تطيق ذلك ، وانى قد بلوت بنى اسرائيل وخبرتهم ، قال : فرجعت الى ربى فقلت : أى رب خفف عن أمتى ، فحط عنى خمسا ٠

فنزلت حتى انتهيت الى موسى ، فقال : مافعلت ؟ فقلت حط عنى خمسا ، فقال : ان أمتك لا تطيق ذلك ، فارجع الى ربك ، فاسأله التخفيف لأمتك ٠

قال : فلم أزل أرجع بين ربى ، وبين موسى ، ويحط عنى خمسا خمسا حتى قال : يا محمد هن خمس صلوات فى كل يوم وليلة بكل صلاة عشر ، فتلك خمسون صلاة ، ومن هم بحسنة ، فلم يعملها كتبت له حسنة ، فان عملها كتبت له عشرا ، ومن هم بسيئة ، فلم يعملها لم تكتب ، فان عملها كتبت سيئة واحدة .

فنزلت حتى انتهيت الى موسى فأخبرته ، فقال : أرجع الى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، فان أمتك لاتطيق ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لقد رجعت الى ربى حتى استحييت »

ورواه مسلم بهذا السياق .

قال البيهقى : وفى هذا السياق ، أن المعراج كان ليلة أسرى به عليه الصلاة والسلام من مكة الى بيت المقدس .

ويقول ابن كثير عن ذلك :

وهذا الذى قاله هو الحق الذى لاشك فيه ولا مرية

وقبل أن نبدأ فى أحاديث أخرى نذكر أنه :

ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء ، والمتكلمين ، الى أن الاسراء والمعراج وقعا فى ليلة واحدة فى اليقظة بجسد النبى صلى الله عليه وسلم ، وروحه بعد البعثة ،

ولقد توارد على ذلك ـ كما يقول الامام ابن حجر ـ ظواهر الأخبار الصحيحة ، ولا ينبغى العدول عن ذلك اذ ليس فى العقل مايحيله حتى يحتاج الى تأويل ٠

ولو كان ذلك مناما ، أو بالروح فقط لما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم مكذب ، لجواز وقوع مثل ذلك وأبعد منه لآحاد الناس :

ان الناس فى الرؤيا يرون أنهم سافروا وأبعدوا ، وذهبوا وجاءوا وعقـــدوا العقود ورأوا نتائج عقودهم ، وثمار عهودهم ، فلو كنا بصدد رؤيا لما ارتاب فى صـــدق الصادق الصدوق صلوات الله وسلامه عليه ، انسان ٠

ولما أشفقت السيدة أم هـــانىء رضى الله عنها على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لما أخبرها الخبر وقال انه سيحدث الناس به ، فأرادت منه أن يعدل عن ذلك قـــائلة : انهم سيكذبونك ، فلم يستجب صـــلوات الله وسلامه عليه لنصيحتها ، لأن الحق ينبغى أن يذاع ، وأذاعه ، صلى الله عليه وسلم ، بين النـــاس ، وحدث ماحدث مما سنذكر بعضه فيما بعد ان شاء الله ٠

- ٢ -

وأخرج أحمد وأبو داود من طريق عبد الرحمن بن جبير عن أنس قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لما عرج بى مررت بقــوم لهم أظفار من نحـاس يخمشون وجوههم وصدورهم ، فقلت من هؤلاء يا جبريل؟

قال هؤلاء الذين يأكلون لحـوم الناس ويقعون فى أعراضهم ٠

- ٣ -

وأخرج مسلم عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« مررت ليلة أسرى بى على موسى عليه السلام ، قائما يصلى فى قبره » ٠

- ٤ -

وأخرج ابن مردويه ، من طريق قتــادة وسليمان التيمى وثمامة ، وعلى بن زيد ، عن أنس ، أن النبى ، صلى الله عليه وسلم ، قال :

« ليلة أسرى بى مررت بنــاس تقرض شــفاههم بمقاريض من نار كلما قرضت عادت »

فقلت : من هؤلاء ياجبريل ؟

قال : هؤلاء خطباء أمتك يقولون مالا يفعلون »

- ٥ -

وأخرج ابن مردويه من طريق قتادة عن أنس « أن النبى ، صلى الله عليه وسلم ، فرضت عليه الصلاة ليلة أسرى به »

- ٦ -

وأخرج ابن ماجة والحكيم الترمذى فى (نـــوادر الاصول) وابن أبى حاتم ، وابن مردويه من طريق يزيد ابن أبى مالك ، عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« رأيت ليلة أسرى بى مكتوبا على باب الجنة الصدقة بعشر أمثالها ، والقرض بثمانية عشر

فقلت لجبريل مابال القرض أفضل من الصدقة ؟

قال لأن السائل يسأل وعنده والمستقرض لايستقرض الا من حاجة »

- ٧ -

وأخرج البزاز من طريق قتادة عن أنس «أن محمدا، صلى الله عليه وسلم ، رأى ربه عز وجل »

- ٨ -

وأخرج ابن مردويه من طريق قتادة ، عن مجاهد ،

عن ابن عباس ، عن أبى بن كعب ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« ليلة أسرى بى وجدت ريحا طيبة ، فقلت ياجبريل ما هذه ؟

قال : هذه الماشطة وزوجها وابنتها ، بينا هى تمشط ابنة فرعون اذ سقط المشط من يدها فقالت تعس فرعون فأخبرت أباها فقتلها »

- ٩ -

أخرج ابن مردويه عن ثمرة بن جنـدب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« رايت ليلة أسرى بى رجلا يسـبح فى نهر يلقم الحجارة ، فسألت من هذا ؟

فقيل لى : هذا آكل الربا »

- ١٠ -

وجاء فى رواية أبى سـعيد الخدرى عن البيهقى ، وفى رواية أبى هريرة عن ابن أبى حاتم :

« فاذا أنا بأقوام بطونهم أمثال البيوت كلما نهض أحدهم خر ، فيقول :

اللهم لا تقم الساعة وهم على سابلة آل فرعون ، قال

فتجيء السابلة ، فتطئوهم ، قال فسمعتهم يضجون الى الله ، قال : قلت يا جبريل من هؤلاء ؟

قال هؤلاء من أمتك « **الذين يأكلون الربا ، لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس** »

- ١١ -

وأخرج البخارى من طريق عكرمة عن ابن عباس فى قوله تعالى :

« **وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس** »

قال : هى رؤيا عين أريهـا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ليلة أسرى به » .

- ١٢ -

وأخرج أحمد والنسائى والبزاز والطبرانى والبيهقى، وابن مردويه بسند صحيح من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :

«(١) لما أسرى بى ، مرت بى رائحة طيبة فقلت : ما هذه الرائحة ؟

قالوا : ماشطة بنت فرعون وأولادها ، سقط مشطها من يدها ، فقالت :

---

(١) هذه رواية غير السابقة .

بسم الله

فقالت ابنة فرعون : أبى ؟

قالت : ربى هو ربك ورب أبيك ،

قالت : أو لك رب غير أبى ؟

قالت : نعم

فدعاها فقال : ألك رب غيرى ؟

قالت نعم ، ربى وربك الله .

فأمر ببقرة من نحاس ، فأحميت ، ثم أمر بها لتلقى فيها وأولادها ، فألقوا واحدا واحدا ، حتى بلغ رضيعا فيهم ، فقال :

قعى يا أمة ولا تقاعسى فانك على الحق .

قال وتكلم أربعة وهم صغار ، هذا وشاهد يوسف ، وصاحب جريج ، وعيسى بن مريم »

- ١٣ -

وأخرج الطبرانى عن ابن عباس «أن النبى ، صلى الله عليه وسلم ، مر على موسى وهو قائم يصلى فى قبره »

---

(١) وهذه رواية أخرى تؤيد السابقة رويناها متعمدين لما سنذكره عن هذا الموضوع .

- ١٤ -

وأخرج الطبرانى عن ابن عباس سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم يقول :

« لما أسرى بى انتهيت الى سدرة المنتهى فاذا نبقها أمثال القلال »

- ١٥ -

وأخرج أحمد بسند صحيح عن ابن عباس قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :

« رأيت ربى عز وجل »

- ١٦ -

وأخرج الطبرانى فى الأوسط ، بسند صحيح عن ابن عباس أنه كان يقول :

« ان محمدا ، صلى الله عليه وسلم ، رأى ربه مرتين ، مرة ببصره ، ومرة بفؤاده »

وأخرج أيضا عن ابن عباس قال : « نظر محمد الى ربه ، قال عكرمة فقلت له نظر محمد الى ربه ؟

قال : نعم جعل الكلام لموسى ، والخلة لابراهيم ، والنظر لمحمد صلى الله عليه وسلم »

وأخرجه البيهقى فى (كتاب الرؤيا) بلفظ « ان الله

اصطفى ابراهيم بالخلة ، واصطفى موسى بالكلام ، واصطفى محمدا بالرؤيا » .

وأخرجه بلفظ « أتعجبون أن تكون الخلة لابراهيم ، والكلام لموسى ، والرؤيا لمحمد صلى الله عليه وسلم ؟ »

- ١٧ -

وأخرج الترمذى ، وحسنه ، وابن مردويه ، من طريق عبد الرحمن عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « لقيت ابراهيم ليلة أسرى بى ، فقال :

يا محمد أقرىء أمتك منى السلام ، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء ، وأنها قيعان ، وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم »

- ١٨ -

وأخرج ابن أبى حاتم وابن مردويه عن أبى أيوب الأنصارى ، أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ليلة أسرى به ، مر على ابراهيم عليه السلام ، فقال له ابراهيم مر أمتك فليكثروا من غراس الجنة ، فان تربتها طيبة ، وأرضها واسعة ، فقال له النبى ، صلى الله عليه وسلم : وما غراس الجنة ؟ ..

قال لا حول ولا قوة الا بالله »

وعن ابن عباس رضى الله عنهما ـ فيما رواه الامام أحمد ـ قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « لما كانت ليلة أسرى بى ، وأصبحت بمكة ، فظعت أمرى ، وعرفت : أن الناس مكذبى » ٠

قال : فمر عدو الله : أبو جهل ، فجاء حتى جلس الى ، فقال له أبو جهل كالمستهزىء :

هل كان من شىء ؟

فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : نعم

قال : ما هو ؟

قال : انه أسرى بى الليلة ٠

قال : الى أين ؟

قال : الى بيت المقدس ٠

قال : ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟

قال : نعم

قال : فلم ير أنه يكذبه ، مخافة أن يجحده الحديث اذا دعا قومه اليه !!

قال أرأيت ان دعوت قومك تحدثهم ما حدثتنى ؟

فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : نعم

فانطلق أبو جهل الى قريش فقال :

هيا يا معشر بنى لؤى ،

قال : فانتفضت اليه المجالس ، وجاءوا حتى جلسوا اليهما ٠

فقال أبو جهل : حدث قومك بما حدثتنى ٠

فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : انى أسرى بى الليلة ٠

قالوا : الى أين ؟

قال : الى بيت المقدس ٠

قالوا : ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟!

قال : نعم ٠

فاذا بالقوم بين مصفق ، وبين واضع يده على رأسه متعجبا للكذب !! زعم ٠

قالوا : وهل تستطيع أن تنعت لنا المسجد ؟ وفى القوم من قد سافر الى ذلك البلد ورأى المسجد ٠ فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :

« فذهبت أنعت ، فما زلت أنعت حتى التبس على بعض النعت » قال « فجىء بالمسجد وأنا أنظر ، حتى وضع دون دار عقيل ، فنعته وأنا أنظر اليه » ٠

قال فقال القوم : « أما النعت فوالله لقد أصاب »

وعن الحسن : أنه فى يوم الحديث عن الاسراء : ارتد كثير ممن كان أسلم ، وذهب الناس الى أبى بكر ، فقالوا له :

« هل لك يا أبا بكر فى صاحبك ؟

يزعم أنه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس ، وصلى فيه ، ورجع الى مكة !

فقال لهم أبو بكر : انكم تكذبون عليه ٠

فقالوا : لا ، ها هو ذاك فى المسجد يحدث به الناس٠

قال أبو بكر : والله لئن كان قاله ، لقد صدق ، فما يعجبكم من ذلك ؟

فوالله انه ليخبرنى : أن الخبر ليأتيه من السماء الى الأرض فى ساعة من ليل أو نهار ، فأصدقه ، فهذا أبعد مما تعجبون منه ٠

ثم أقبل حتى انتهى الى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقال :

يا نبى الله ، أحدثت هؤلاء القوم : أنك أتيت بيت المقدس هذه الليلة ؟

قال : نعم ٠

قال : يا نبى الله ، فصفه لى ، فانى قد جئته ؟

قال الحسن : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرفع لى حتى نظرت اليه ، فجعل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يصفه لأبى بكر ، ويقول أبو بكر : صدقت ، أشهد أنك رسول الله ، وكلما وصف له منه شيئا ، قال: صدقت ، أشهد أنك رسول الله ، قال : حتى انتهى .

قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لأبى بكر :

وأنت يا أبا بكر : « الصديق » فيومئذ سماه « الصديق » .

هذا هو الموجز لما ترويه السنة مؤيدة للقرآن عن هذا النبأ الجليل ، ولقد حاول ابن اسحاق أن يبين الحكمة فى هذا الحادث فقدم ــ حسبما يروى ابن هشام ــ لحديث الاسراء بكلمة نفيسة يقول فيها :

« وكان فى مسراه ، وما ذكر منه : بلاء وتمحيص، وأمر من أمر الله ، فى قدرته وسلطانه ، فيه عبرة لأولى الألباب ، وهدى ورحمة ، وثبات لمن آمن بالله وصدق، وكان من أمر الله على يقين .

فأسرى به كيف شاء ، وكما شاء : ليريه من آياته الكبرى ما أراد ، حتى عاين ما عاين من أمره وسلطانه العظيم ، وقدرته التى يصنع بها ما يريد » .

أما الامام البوصيرى فانه يقول فى « همزيته المباركة » .

فطوى الأرض سائرا والسموا
ت العلا فوقها له اسراء

فصف الليلة التى كان للمخـ
ـتار فيها على البراق استواء

وترقى به الى قاب قوسين
وتلك السيادة القعساء

رتب تسقط الأمانى حسرى
دونها ما وراء هن وراء

ثم وافى يحدث الناس شكرا
اذ أتته من ربه النعماء

وتحدى فارتاب كل مريب
أو يبقى مع السيول الغثاء

***

هذا النبأ الجليل يسمعه قوم ، فلا يصل الا الى الجوانب الظاهرية منهم ، فيأخذون فى الجدل الشكلى ، أكان ذلك فى اليقظة ؟ أم كان ذلك فى النوم ؟ .

أكان ذلك بالروح والجسد ! أم كان بالروح فقط ؟

وهل كان ليلا ؟ أم كان نهارا ؟ .

وهذه كلها صور من الجدل الذى يثور ، حينما يخف وزن الايمان فى النفوس (١) ويسمع هذا النبأ قوم ، فيصل الى أعماق قلوبهم ، فيتجهون فى صورة

---

(١) يقول شوقى رحمه الله فى قصيدته التى عارض فيها الامام البوصيرى هذه الأبيات الجميلة :

يتساءلون — وأنت أطهر هيكل —
بالروح أم بالهيكل الاسراء

بهما سموت مطهرا وكلاهما
نور وروحانية وبهاء

فضل عليك لذى الجلال ومنة
والله يفعل ما يرى ويشاء

تغشى الغيوب من العوالم كلما
طويت سماء قلدتك سماء

فى كل منطقة حواشي نورها
نون وأنت النقطة الزهراء

أنت الجمال بها وأنت المجتلى
والكف والمرآة والحسناء

الله هيأ من حظيرة قدسه
نزلا لذاتك لم يجزه علاء

العرش تحتك سدة وقوائما
ومناكب الروح الامين وطاء

والرسل دون العرش لم يؤذن لهم
حاشا لغيرك موعد ولقاء

طبيعية ، الى مغزاه العميق ، والى روحانيته السامية ، ويرون أن هذا النبأ : ينطوى على توجيهات لا ينبغى أن يمر عليها الناس مر الكرام ٠٠ من هذه التوجيهات :

١ ـ لقد كان رسول الله صلوات الله عليه وسلامه ، خاتمة سلسلة من الأنوار التى يرسلها الله الى العالم بين الفينة والفينة لتهدى الى الرشاد ، ولتقود الى الله ، ولتسمو بالمؤمنين درجات فى معارج القدس ، لتصل بالجديرين منهم الى الكمال المرجو ، عن طريق الارشاد الالهى ، وكان الكتاب الذى أنزل عليه ، صلوات الله عليه وسلامه ، وهو القرآن : خاتم الكتب ، وأكملها ، ومهيمنا عليها ٠

ولأن رسول الله ، صلوات الله عليه وسلامه ، تخلق بأخلاق أكمل كتاب ربانى ، فهو اذن أكمل رسول صلى الله عليه وسلم ، ومن هنا كانت امامته ، صلوات الله عليه وسلامه ، بالرسل والأنبياء فى بيت المقدس ، ولأنه صلوات الله عليه وسلامه ، أكمل رسول : كان من أجل ذلك أقرب المقربين الى الله ، سبحانه وتعالى ، لقد تخطى الأرضين والسموات ، وتجاوز الكون كله ، ووصل الى مالم يصل اليه بشر ، بل الى مالم يصل اليه جبريل نفسه ، عليه السلام لقد وصل ، صلوات الله عليه وسلامه الى :

« قاب قوسين أو أدنى »

وكما أن المعنى الذى يدل عليه نبأ المعراج : من وجود الأنبياء والرسل فى السموات ، ومن أن الرسول ، صلوات الله عليه وسلامه ، أخذ يتجاوز هذه السموات الواحدة بعد الأخرى ، ويتجاوز الأنبياء واحدا بعد الآخر ، نقول : كما أن المعنى الذى يدل عليه النبأ معنى مكانى ، فانه أيضا ـ بل وبطريق أولى ـ معنى روحى • أى أن الرسول، صلوات الله عليه وسلامه فى تساميه الروحى فى كل لحظة من اللحظات ، قد بلغ فى معراجه الى درجات تجاوزت ـ فى روحانيتها ـ آدم فى سمائه الأولى ، ثم تجاوزت ••• وهكذا حتى تجاوزت روحيا ابراهيم ، عليه السلام فى سمائه السابعة • ولقد تجاوز رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، كل ذلك ، وتجاوز الكون كله الى سدرة المنتهى ، الى السدرة المنتهى ، الى شجرة النهاية ، ثم الى حيث لا يبلغ ملك مقرب ، ولا نبى مرسل ••• الى قاب قوسين أو أدنى •

لقد رأى من آيات ربه الكبرى ، هذا هو مقام الرسول صلوات الله عليه !!

ولكن بعض الناس ينزل بنا من هذه الآفاق العليا ، والسموات السامية ، ومن الرحاب الالهى •• ينزل بنا منحدرا فيجادل فى الاسراء والمعراج •

أكان رؤية ، أم كان يقظة ؟

أستغفر الله ، وأتوب اليه !!

ان ذلك الجـــدل ان دل على شيء ، فانما يدل على ضعف الايمان في قلب المجادل المماري ·

٣ ـ واذا كانت التوجيهات السابقة ، انمـــا كانت لتدلنا على مقام رسول الله ، صلوات الله عليه وسلامه ، فنزداد بذلك تقديرا ، وحبا ، واتباعا ، فان من هدى الله سبحانه وتعالى ، وتوجيهاته فى نبأ الاسراء والمعراج : هذه الرمزيات الاخلاقية ، التى تربط ربطا محكما بين الدين والأخلاق ·

والواقع أن الاخلاق فى جو الاســلام مرتبطة بالدين ارتباطا لا ينفصل : منه تنبع ، وعلى أساسه تقوم ، وعنه تصدر ، انها جزء من الدين الاسلامى ، لا يتجزأ ، مصدرها هو مصدره ، الهى ربانى ·

وبعض الناس فى العصر الحـــديث يريد أن يجعل للأخلاق مصادر أخرى ·

يريد بعضهم أن يجعل أساس الاخلاق الضمير ، بيد أن ذلك خطأ بين ، فالضمير يربى ويكون ، وتربيته تكوينه

هما شكله ، ونزعته واتجاهه ، الذى يتكيف بحسب الثقافة، والبيئة ، والعصر والوسط ٠

ان الضمير يصنع كما تصنع المزيفـــات ؛ وهو اذن مقياس للأخلاق خاطىء ٠

وبعض الناس يريد أن يرجـع بالاخلاق الى المصلحة العامة ، ولكن المصلحة العامة كلمة غير محددة ، وكل من يتحدث باسم المصلحة العامة : انما يتحدث باسم فكرته هو ، منحرفة كانت هذه الفكرة أو غير منحرفة ٠

والمصلحة العامة اذن كأساس للاخلاق : انمـا هى : أساس غير مضمون ٠

وبعض الناس يريد أن يرجـع بالاخلاق الى المصلحة الشخصية أو الى اللذة ، أو الى المنفعة ٠ وكل هـذا وارد الغرب الأوربى ، أو الغرب الأمريكى عنـدما انحرف هذا الغرب والحد ٠

أما وارد الشرق الاســـلامى أو بتعبـير أدق ، وارد الاسلام الالهى ، فان مقياس الاخلاق فيه : انما هو المبادىء الدينية ، انما هو آيات القرآن ، وانما هو الفضائل التى أوحاها الله ، سبحانه وتعالى ، هذه الفضائل التى حددها القرآن فى أسلوب عربى مبين وتحدث عنهـــا نبأ الاسراء

والمعراج فى صور رمزية دالة هادفة مؤثرة وبينتها السنة النبوية الشريفة ، وركزها القرآن والسنة على أسس من الايمان قوية ثابتة ، انها فى رحلة الاسراء والمعراج تكون منهج حياة مؤسسة على الايمان بالله ورسوله ، وهذا المنهج هو الذى نريد رسمه الآن بتوفيق الله .

الفصل الثالث

منهج الحياة الذى رسمته أنباء الإسراء والمعراج

منهج الحياة الذى رسمته أنباء الاسراء والمعراج

ونعود من جديد الى أسانيد حادث الاسراء والمعراج فى السنة الشريفة ، فنقول :

ان حادث الاسراء والمعراج ورد فى روايات عدة ، منها الصحيح ، ومنها الحسن ، أخرجها أئمة الحديث ، رضوان الله عليهم ، يذكر بعضها ، مالم يذكره البعض الآخر ، تتفق فى جوهرها ، ولا تتعارض فى جزئياتها ، يرويها بعضهم مختصرة ، ويرويها بعضهم متوسطة ، ويرويها بعضهم مطولة ، وكل صورة منها يتعدد سندها ، أى يختلف الرواة الذين رووها ، ومع ذلك تكون الصورة واحدة فى جوهرها .

الجوهر اذن متواتر ، واذا أخذنا برأى الامام ابن حزم فى أن المتواتر ما روى بروايتين فان التفاصيل – فى أغلبها – تكون أيضا متواترة .

كل هذا مع ثبوت الأمر فى جوهره بالكتاب العزيز .
ونحن اذن حينما نبدأ فى الحديث عن الاسراء والمعراج على أنه منهج الحياة ، ونستمد الصورة أحيانا من الجزئيات والتفاصيل ، فانما نقف فى ذلك على أرض صلبة ونسير فى الرسم على أساس من المروى .

ـ التوبة ـ

وتبدأ قصـــــة الاسراء والمعراج فى بعض روايات البخارى ، وفى بعض روايات غيره بشق الصدر • من ذلك ما يرويه أحمد بسنده عن أنس بن مالك قال :

كان أبى بن كعب يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال :

« فرج سقف بيتى وأنا بمكة فنزل جبريل ، ففرج صدرى ، ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وايمانا ، فأفرغها فى صدرى ، ثم أطبقه ••• »

هذا الحادث هو بالنسبة لنا التوبة ، فان تطهير القلب الذى حدث لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عدة مرات فى حياته انما هو بالنسبة لأتباعه بمثابة التوبة •

والواقع أن حياة المسلم فى طريقه الى الله ، انما تبدأ بالتوبة ، وليس قبل التوبة من درجة تسبقها • والتوبة التى نتحدث عنها انما هى التوبة الخالصة النصوح ، فان الله تعالى يقول :

« يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا •• »

فأرشد سبحانه الى أن التوبة المطلوبة انما هى التوبة النصوح ، ولأجل أن تكون التوبة خالصة نصوحا فانه لابد

من توفر شروط ، ويتحدث الامام النووى عن شروطها فى كتابه المبارك « رياض الصالحين » فيقول :

التوبة واجبة من كل ذنب ، فان كانت المعصية بين لعبد وبين الله تعالى ، لا تتعلق بحق آدمى ، فلهـــا ثلاثة شروط :

أحدها أن يقلع عن المعصية .

والثانى أن يندم على فعلها .

والثالث أن يعزم أن لا يعود اليها أبدا .

فان فقد أحد الثلاثة فلا تصح التوبة .

وان كانت المعصية تتعلق بآدمى فشروطها أربعة ، هذه الثلاثة ، وأن يبرأ من حق صاحبها ، فان كانت مالا أو نحوه رده اليه ، وان كان حد قذف أو نحوه مكنه منه ، أو طلب عفوه ، وان كانت غيبة استحله منها .

ولأن التوبة أول سلم فى معراج السالكين الى الله ، ولأنهـا واجبة من كل ذنب ، ولأنها تجب (١) ما قبلها ، ولأنهـــا تضع الانسان فور تحققه بهـا فى مرتبة البراءة والطهارة والنقاء فان الاسلام حث عليها كثيرا ، يقول الله تعالى آمرا بها :

« وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون»

---

(١) أى تمحوه وتزيله .

وقد فتح الله بابها ـ خالصة نصوحا ـ على مصراعيه، فقال في أسلوب يسيل رحمة ورأفة :

« قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم » •

انه سبحانه يغفرها بالتوبة ، لأنه سبحانه يقول بعد ذلك موجها المسلمين الى الطريق :

« وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون • واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون»•

ويتابع القرآن فى التوجيه الى التوبة فى أسلوب كله رحمة ورأفة ما جاء فى حديث قدسى طويل رائع ، يقول الله تعالى فيه : ـ

« ياعبادى انكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعا ، فاستغفرونى أغفر لكم » •

ويتابع ذلك كله الأحاديث النبوية : ـ

« ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل • »

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يعترف بالخطيئة كواقع لا يتأتى انكاره فيقول :

« كل ابن آدم خطاء » .

ولكنه يرشد الى الوسيلة التى تفضل بعض الخطائين وتجعل لهم منزلة فى الخير : فيقول :

« وخير الخطائين التوابون » .

يقول الامام القشيرى :

ومن لطائف المعراج : ما خص به أول حاله فى تلك الليلة بالطهارة على ما ذكرنا فى بعض الروايات فيما تقدم : أن جبريل عليه السلام حمله الى زمزم ، وشق صدره وغسل قلبه .

وقد شق قلب النبى صلى الله عليه وسلم مرتين ، مرة فى حال صباه ، وهو بعد فى حجر حليمة ، والمرة الثانية ليلة المعراج .

وفى تخصيص قلبه بالغسل دون غيره من البدن اشارات : منها أن القلب محل العرفان ، وهى المضغة التى بصلاحها صلاح البدن .

وهو محل المشاهدة .

ولكى لا يكون لغير الحق نضيب فى قلبه .

ولتنبيه الأمة على طهارة القلب .

واذا كان شق الصدر الذى سبق هذا الحادث الخطير

ـ حادث الاسراء والمعراج ـ هو بالنسبة لنا التوبة ، فانه أيضا توجيه واضح لنا الى أن نلجأ الى الله تعالى تائبين عند الشروع فى أى أمر له قيمته :

انه توجيه لنا أن نلجأ الى الله تائبين عند الشروع فى شراء ، وفى بيع ، فى ارتباط بزواج ، فى بناء بيت ، فى الشروع فى سفر .

وليست التوبة فى مثل ذلك توبة من ذنب ، وانما هى التجاء الى الله ، وتشفع اليه سبحانه بتأكيد صفاء النفس ، وطهارة القلب من أجل أن يسدد الخطأ ويمنح التوفيق ، ويحفظ من الأخطاء .

انها توسل الى الله بعمل صالح هو التوبة .

الغاية فى منهج الحياة

ويمكن للانسان أن يتعجل السؤال عن الغاية فيقول :

اذا كان بدء الرحلة الاسلامية انما هو التوبة ، فما نهايتها ؟

ونقول دون تردد ولا شك :

ليس دون الله منتهى .

وذلك أن الله سبحانه وتعالى هو الغاية الأخيرة للمؤمن المتبصر .

ولقد أعلن الله صراحة أنه ســـبحانه اليه المنتهى فقال :

« وأن الى ربك المنتهى »

ويقول أبو ســـعيد الخراز رضى الله عنه معبرا عن شعور المؤمن بالنسبة لله سبحانه :

« كل ما فاتك من الله سوى الله يسـير
وكل حظ لك ، ســوى الله ، قليل »

ان هجرة المؤمن اليه سبحانه :

« انى مهاجر الى ربى سيهدين »

وفرار المؤمن الى الله ، ولقد أمر الله بالفرار اليـه فقال :

« ففروا الى الله »

وذهاب المؤمن اليه :

« انى ذاهب الى ربى »

ولقد كانت نهاية الرحلة التى نحن بصددها ـ رحلة الاسراء والمعراج ـ الانتهاء الى الله سبحانه وتعالى ، فهى رحلة انتهت الى غايتها الحقيقية التى هى الله فحققت :

« وأن الى ربك المنتهى »

وانه ـ اذا تحدثنا عن ثمرة السلوك الى هذا المنتهى ـ

بمقدار قرب السالك من هذ المنتهى تكون رعاية الله له ، وعنايته به .

على أن هذه الرعاية ، وهذه العناية تبدأ منذ الخطوة الأولى التى تتمثل فى الاستغفار .

والله سبحانه وتعالى يأمر بالاستغفار ، ويبين ما يترتب عليه من آثار ، وهى آثار ليست بالهينة ، أو التافهة ، انها آثار ضخمة ، يقول سبحانه :

« استغفروا ربكم انه كان غفارا . يرسل السماء عليكم مدرارا . ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا » .

ويقول سبحانه :

« استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم »

وكلما ازداد الانسان استغراقا فى السلوك الى الله، ازدادت رعاية الله له ، وعنايته به ، حتى اذا ما انتهى اليه سبحانه كانت العناية المناسبة ، والرعاية الكافية ، فى الدنيا وفى الآخرة :

« ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون : الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، لا تبديل لكلمات الله ، ذلك هو الفوز العظيم » .

وليس معنى الوصـــول الى هذا المنتهى – وهو الله سبحانه – الاستقرار والسكون الروحى ، كلا ، وانما معناه من جانب ، زوال القلق والاضطراب النفسى ، وزوال هم الرزق ، وخوف الموت ، وزوال كل ما يصرف الانسان عن الله ، أن يشغل بؤرة التفكير ، ويحل فى أعماق النفس ٠

ولكن الوصول الى هذا المنتهى معنـــاه – من جانب آخر – الرقى الروحى الدائم ، الفيوضات الالهية المستمرة، المعرفة اللدنية المتتالية ، وصلوات الله وسلامه على من وصل الى هذا المنتهى وأمر مع ذلك أن يقول :

« رب زدنى علما » ٠

وزيادة العلم فى عرف أوليـــاء الله ، انما هو زيادة السعادة ، ومن أجل ذلك يقول أحد العارفين :

نحن فى سعادة لو عرفها الملوك لجالدونا عليهـــا بسيوفهم ٠

وتتلون السعادة بلون المعرفة ، ولكل باب من أبواب المعرفة مذاق خاص ، فله اذن لذة خاصـــة – اذا أمكن التعبير بكلمة اللذة فى هذا المقام – وهو يسلم الى ما يليه، وما يليه له مذاقه الخاص فله أيضا لذته ، انها جنة الدنيا فى سموها وجمالها وجلالها ٠

ولا يحجب أولياء الله عن الله مال ، وقد يكونون فى

ثراء عريض ، فلا يصرفهم ذلك عن الله ، وما صرف سليمان عليه السلام ملكه عن الله ، وقد يعرض عليهم الثراء العريض فلا يعيرونه أهمية .

ولقد قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :

« خيرت بين أن أكون ملكا رسولا ، أو عبدا رسولا، فاخترت أن أكون عبدا رسولا » .

ويتحدث الامام أبو سعيد الخراز عن ذلك بالنسبة الى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم فيقول :

وهذا النبى صلى الله عليه وسلم :

« بينما جبريل عليه السلام ، عنده ، اذا تغير جبريل، فاذا ملك قد نزل من السماء لم ينزل قط .

فقال جبريل عليه السلام : خشيت أنه نزل فى بأمر .

فجاء الى النبى ، صلى الله عليه وسلم ، بالسلام من عند الله عز وجل ، وقال له :

هذه مفاتيح خزائن الأرض ، تسير معك ذهبا وفضة مع البقاء فيها الى يوم القيامة ، ولا تنقصك مما لك عند الله شيئا .

فلم يختر النبى ، صلى الله عليه وسلم ذلك . وقال:

« أجوع مرة وأشبع مرة » .

ولا يحجب أولياء الله عن الله لذة حسية ، فهم فى لذة دائمة مستمرة أسمى وأنفس ٠

انهم لا يحجبهم عنه متاع دنيوى أيا كان ، فاستبشار قلوبهم « بقرب الله تعالى ، وسرورها به ، وهدوئها فى سكونها اليه ، وأمنها معه ٠

ما بين البدء والغاية

ـ ١ ـ الجهاد

كيف الوصول الى هذا المنتهى الذى فيه الرضا ، وفيه زيادة الأنوار ، وتلاحقها على الدوام ، وفيه السعادة التى لا تنقطع ، وفيه مرضاة الله سبحانه وتعالى ، وحفظه وعنايته ، ورعايته ومحبته ؟ ٠

هذا ما ترسمه الرحلة المباركة فيما بين شق الصدر أو التوبة وبين : ـ

« ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى »

وبمجرد أن تبدأ الرحلة المباركة ، يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أمرا عجيبا :

انه يرى قوما يزرعون ويحصدون فى يوم ، كلما حصدوا عاد كما كان ٠

فقال النبى صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام ٠ ما هذا ؟

قال : « هؤلاء المجاهدون في سبيل الله ، تضاعف لهم الحسنة الى سبعمائة ضعف ، وما أنفقوا من شيء فهو يخلفه، وهو خير الرازقين » ٠

وتنقلنا هذه الرؤية من التوبة مباشرة الى الجهاد ٠

وهذا انتقال طبيعى ، فانه اذا كانت التوبة حقا خالصة نصوحا استتبعت لا محالة الجهاد ٠

وللجهاد فى الدين الاسلامى مكانة عظمى : فقد روى الشيخان بسندهما عن أبى ذر رضى الله عنه قال : ــ

قلت يا رسول الله أى الأعمال أفضل ٠

قال : « الايمان بالله ، والجهاد فى سبيله » ٠

والجهاد فى سبيل الله أوسع وأعم من أن يقتصر على الجهاد الحربى ، ان من أنواع الجهاد فى سبيل الله ، جهاد النفس حتى تستقيم على التوبة ، وجهادها حتى تقيم الفرائض ، وجهادها حتى تلتزم الفضائل ، وجهادها على العموم حتى تتزكى من بعد التوبة : ــ

« قد أفلح من زكاها »

« ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه »

وجهاد الأسرة حتى تستقيم على أمر الله .

والله سبحانه وتعالى يقول :

« يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة ، عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » .

وكان سيدنا اسماعيل رضى الله عنه يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا .

ولا يعفى جهاد النفس وجهاد الأسرة عن جهاد المجتمع .

وكل ذلك أنواع متناسقة من مبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

وهو مبدأ أساسى فى الدين الاسلامى ، ولأجل أن يبين الله سبحانه وتعالى أهميته الكبرى ، ذكره قبل الايمان بالله ، مبينا أنه مناط خيرية الأمة الاسلامية فقال سبحانه :

« كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

وعلى العكس من ذلك اليهود فقد :

« لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود

وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتــدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون »

ولقد بين الاسلام وسائل الجهـاد بحسب الظروف والملابسات ، وبحسب الامكانيات والاحتمالات ٠

عن ابن مسعود رضى الله عنه ـ فيمـــا رواه الامام مسلم ـ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ـ

« ما من نبى بعثـــه الله فى أمة قبلى الا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ٠

ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لايفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون ٠

فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ٠

ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ٠

ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ٠ ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل » ٠

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلســـانه ، فان لم يستطع فبقلبـــه ، وذلك أضعف الايمان » ٠

وصور رسول الله ، صلى الله عليـــه وسلم المجتمع ووجوب الأخذ على يد المفسد فيه ، ـحتى لا يكون الهلاكـ بالصورة الرائعة التالية التى رواها الامام البخارى عن النعمان بن بشير عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : ـ

« مثل القائم فى حدود الله ، والواقع فيها ، كمثل قوم استهموا على سفينة ، فصار بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها ، وكان الذين فى أسفلها اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ، ولم نؤذ من فوقنا ، فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وان أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا » .

وروى الترمزى عن حذيفة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهـون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم »

وعن أبى سعيد الخـــدرى عن النبى (ص) قال « أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر »

وان الله سبحانه وتعالى لا يخلى الارض من الآمرين بالمعروف ، الناهين عن المنكر ، فقد جاء فى الصحيحين :

لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق ، لا يضرهم

من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتى أمر الله ، وهم كذلك٠

أما الجهـــاد الحربى فيكفى ـ لبيان أنه من طبيعة الاسلام ـ أن نذكر فيه حديثين ، أو ثلاثة ، وأن نذكر فيه آيتين من القرآن أو ثلاثا ٠

ونبدأ فى ذلك بما رواه الامام مسلم ٠

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو ، مات على شعبة من النفاق ٠ »

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ـ فيما رواه الترمذى ـ قال :

« مر رجل من أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم بشعب فيه عيينة من ماء عذبة فأعجبته فقال :

لو اعتزلت الناس فأقمت فى هذا الشعب ، ولن أفعل حتى أستأذن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :

فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ،

فقال : لا تفعل فان مقـام أحدكم فى سبيل الله أفضل من صلاته فى بيته سبعين عاما ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة ؟

اغزوا فى سبيل الله ، من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة : وجبت له الجنة »

وروى أبو داود باســـناد جيد ، عن أبى أمامة رضى الله عنه :

أن رجلا قال : يارسول الله ائذن لى فى السياحة ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم :

« ان سياحة أمتى الجهاد فى سبيل الله عز وجل »

والقرآن يربط الجهـاد بالايمان بحيث لا يتأتى أن يوجد الايمان الصادق الا والجهاد من عناصره ، لقد اشترى الله ـ فى عقد الايمان من المؤمنين أنفسهم وأموالهم :

« ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم • »

والجهاد تجارة مع الله :

« يا أيهـا الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ، تؤمنون بالله ورسوله ، وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ، ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم • »

والجهاد داخل في صدق الايمان :

«انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون .»

ان الجهاد بأوسع معانيه انما هو الخطوة الاولى بعد التوبة :

– ٢ –

الحياة بعد الموت

ان الصلاة في ترتيب الرحلة المباركة يأتي رمزها بعد رمز الجهاد مباشرة ، ولكننا مراعاة لما بين هذا الموضوع وما قبله نذكره هنا ثم نعود للترتيب الطبيعي في الرحلة المباركة .

أخرج مسلم عن أنس قال ، قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « مررت ليلة أسرى بي على موسى عليه السلام قائما يصلي في قبره »

وفي رواية أخرى :

« أتيت على موسى عليه السلام ليلة أسرى بي عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره »

وفي حديث الاسراء والمعراج قابل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم الانبياء وتحدث معهم وصلى بهم ٠

ويمكن أن نتساءل عن الحياة بعد الموت ، هل الانسان بعد موته يكون انتهى فيما يتعلق بالاحساس والشعور والفكر والتعقل ؟ أو أنه يكون انتهى باعتباره جسما ماديا، وتبقى روحه على احساسها وشعورها وتفكيرها في صورة من الصور ؟

ان قوما يمارون في هذه الحياة لبعض أنواع من الناس ٠ ومن أجل ذلك نتحدث عن هذا الموضوع بمناسبة حديث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عن سيدنا موسى وهو قائم يصلي في قبره :

الأنبياء أحياء في قبورهم بشهادة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم لموسى عليه السلام ، وبرؤيته للأنبياء ، وحديثه معهم ، وصلاته بهم ، فهل الشهداء كذلك ؟

أما الشهداء فان الحياة ثابتة لهم بالقرآن، يقول تعالى:

« ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ٠

وبمناسبة هذه الآية روى الترمذي وحسنه ، وابن

ماجة باسناد حسن أيضا والحاكم وقال صحيح الاسناد : أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لما رأى جابر بن عبد الله مهتما لاستشهاد أبيه فى غزوة أحد قال له مطمئنا مبشرا:

ألا أخبرك ما قاله الله لأبيك ؟ فقال جابر :

بلى :

قال صلى الله عليه وسلم : « ماكلم الله أحدا قط الا من وراء حجاب ، وانه كلم أباك كفاحا » (والكفاح المواجهة)

قال : سلنى أعطك ٠

قال : أسألك أن أرد الى الدنيا فأقتل فيك ثانية ٠

فقال الرب عز وجل :

انه قد سبق منى القول : بأنهم اليها لا يرجعون ٠

قال : أى رب فأبلغ من ورائى : (أى أبلغهم هــذه النعمة الكبرى فى الجنة التى يتقلب فيها الشهيد)

فأنزل الله تعالى :

« ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء ٠٠٠ »

وقال تعالى :

« ولا تقولوا لمن يقتل فى ســبيل الله أموات ، بل أحياء ولكن لا تشعرون »

يقول الامام القشيرى :

فأخبر سبحانه أن الشهداء أحياء عند ربهم ، فالأنبياء أولى بذلك لتقاصر رتبة الكافة عن درجة النبوة ·

قال الله تعالى :

« فأولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء »

فرتبة الشهادة ثالث درجة النبوة ، ولقد وردت الأخبار الصحيحة والآثار المروية بما يدل على هذه الجملة ·

ثم أورد الامام القشيرى جملة من الأحاديث يثبت بها ما رآه ، منها :

عن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« ان لله ملائكة سياحين فى الأرض يبلغوننى عن أمتى السلام »

يقول الامام القشيرى تعليقا على هذا الحديث :

« ولا يبلغ السلام الا ويكون حيا »

ويروى الامام القشيرى عن أبى هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« من صلى على عند قبرى سمعته ، ومن صلى على نائيا منه أبلغته »

عن أبي الدرداء رضى الله عنه ـ فيما رواه ابن ماجة باسناد جيد ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

« اكثروا من الصلاة على يوم الجمعة ، فانه مشـــهود تشهده الملائكة ، وان أحدا لن يصلى على الا عرضت على صلاته حتى يفرغ منها » • قال : قلت وبعد الموت ؟ قال:

« ان الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبيـــاء عليهم الصلاة والسلام » •

ولعل هذه الحياة البرزخية ليست للأنبياء والشهداء فحسب ، وانما هى لجميع الناس حتى الكفار منهم على أن القرآن والسنة يشيران الى حياة الكفار بعـــد الموت قبل القيامة : ـ

يقول تعالى عن آل فرعون :

« النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ، ويوم تقـوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب » •

ولا ريب فى أن النار التى يعرضون عليها ليست نار يوم القيامة ، فما فى القيامة غدو وعشى ، وما فيها شروق وغروب ، ثم ان العطف يقتضى المغايرة • ومنطوق الآية :

ان آل فرعون يعرضون على النار ، فى الصباح وفى المساء ، يرون مكانهم فيها ومصيرهم الذى سيصيرون اليه حتى اذا كان يوم القيامة نادى مناد آمرا : ـ

أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ٠

أدخلوهم بعد أن كانوا يعرضون غدوا وعشـــيا ، أدخلوهم الى اقامة مستمرة ٠

على أن حادثة أصحاب القليب معروفة مشــــهورة ، رواها الامام البخارى بعدة روايات ورواها غيره بعــــدة روايات أيضـــــا ، من هذه الروايات ، الرواية الآتية عن البخارى :

حدثنا عبد الله بن محمد ، سمع روح بن عبـــادة ، حدثنا سعيد بن أبى عروبة ، عن قتادة قال : ذكر لنا أنس ابن مالك ، عن أبى طلحة أن رسول الله ، صلى الله عليـــه وسلم ، أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلا من صـــناديد قريش فقذفوا فى طوى من اطواء بدر خبيث مخبث ، وكان اذا ظهر على قوم ، أقام بالعرصة ثلاث ليـــال ، فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها ، ثم مشى وتبعه أصحابه وقالوا ما نرى ينطلق الا لبعض حاجته حتى قام على شفة الركى ، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم : يافلان بن فلان ، ويا فلان بن فلان يسركم أنكم أطعتم الله ورسوله ؟ فانا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا ! »

فقال عمر : يا رسول الله : ما تكلم من أجساد لا أرواح فيها ؟

فقال النبي صلى الله عليه وسلم .

« والذى نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم » .

هذه الروايات كلها تتكاتف وتتساند ، مع الأحاديث التى رويت فى عذاب القبر ، ونعيمه :

والتى تخبر أن القبر اما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار فتدل بمجموعها على أن كل انسان اذا فارق الدنيا فانما انتقل من طور الى طور وانه اذا كان الجسم سيبلى فان الروح ـ مركز الشعور والاحساس والفكر ـ باقية تحس وتشعر وتفكر .

وقد يتساءل انسان عن صلاة موسى عليه السلام : أكانت فرضا وتكليفا ؟

ونقول فى الاجابة عن ذلك : انها كانت شكرا وحمدا لله على نعمه : وليس فى الآخرة تكليف وان كان فيها أيضا ترق روحى لا ينتهى لأن المدد الالهى لا ينتهى ، ولكل درجة من درجات هذا المدد شعور بالحمد والثناء على الله والشكر لله : يتناسب مع درجته ، والله سبحانه وتعالى يقول :

« دعواهم فيها سبحانك اللهم ، وتحيتهم فيها سلام ، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين » .

- ٣ -

الصلاة

ثم أتى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، على قوم ترضخ رءوسهم بالصخر وكلما رضخت عادت كما كانت ، لا يفتر عنهم من ذلك شيء .

فقال : ما هذا يا جبريل ؟

قال : هؤلاء الذين تتثاقل رءوسهم عن الصلاة المكتوبة .

أتى دور الفروض الدينية ، وبدأت هذه الفروض بالصلاة ، والصلاة هى الركن الثانى فى الاسلام ، ان منزلتها ومنزلة ما عداها ، انما يأتى بعد الايمان بالله وبرسوله .

أتى دور الفروض الدينية ، وان لم تكن قد فرضت بعد ، وذلك أن الرحلة المباركة ترسم الماضى والحاضر والمستقبل ، انها ترسم الحياة الاسلامية ، فى جميع أدوارها الزمنية فى جانب العقيدة والاخلاق منها .

والصلاة فى الوضع الاسلامى عماد الدين ، فمن أقامها فقد أقام الدين ، ومن هدمها فقد هدم الدين ، ومثلها فى حياة المسلم كمثل نهر جار غمر(١) على باب أحدكم —

---

(١) الغمر هو الكثير الماء .

على حد تعبير رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ـ يغتسل منه كل يوم خمس مرات .

وعن عبد الله بن قرط رضى الله عنه قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :

« أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة ، فان صلحت صلح سائر عمله ، وان فسدت فسد سائر عمله (١) » .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم :

« لا ايمان لمن لا أمانة له ، ولا صلاة لمن لا طهور له ، ولا دين لمن لا صلاة له ، انما موضع الصلاة من الدين كموضع الرأس من الجسد (٢) » .

وسنتحدث ان شاء الله عن الصلاة فيما بعد فنبين أهميتها الكبرى فى الوضع الاسلامى ، ولكننا قبل أن نفرغ الى الزكاة نقول : ان الرسول صلى الله عليه وسلم رأى يوما فيما يراه النائم تمثيلا لتارك الصلاة ، يشبه التمثيل الذى تقدم : يقول صلوات الله وسلامه عليه :ـ

... فانطلقت فمررت على ملك وأمامه آدمى ، وبيد

---

(١) رواه الطبرانى فى الاوسط ولا بأس باسناده ان شاء الله .

(٢) رواه الطبرانى فى الاوسط والصغير ، وقال : تفرد به الحسين بن الحكم الحبرى .

الملك صخرة يضرب بها هامة الآدمى ، فيقع دماغه جانبا ، وتقع الصخرة جانبا ٠

ولما سأل صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، قيل له :

أولئك الذين كانوا ينامون عن صلاة العشاء الآخرة ، ويصلون الصلوات لغير مواقيتها فهم يعذبون بهـــا حتى يصيروا الى النار ٠

وقبل أن نفرع الى الزكاة أيضا نذكر مايلى :

يقول الامام القشيرى :

سمعت الاستاذ أبا على الرقاق رضى الله عنه يقول :

ان نبينا عليه السلام أتى للأمة بالمعراج على التحقيق، فان الصلاة لنا بمنزلة المعراج ٠

وقد كان المعراج له عليه السلام ثلاث منازل ، من الحرم الى المسجد الأقصى ، ثم من المسجد الاقصى الى سدرة المنتهى ، ثم منها الى قاب قوسين أو أدنى ٠

فكذلك لنا الصلاة ثلاث منازل : القيام ، ثم الركوع، ثم السجود ، وهو نهاية القربة ٠

قال الله تعالى :

« واسجد واقترب »

ـ ٤ ـ

الزكاة

وتأتى الزكاة بعد الصلاة فى ترتيب منهج الحياة الذى نحن بصدده ٠

لقد أتى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : على قوم على أقبالهم رقاع ، وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الأنعام ، يأكلون الضريع والزقوم ، ورضف جهنم ٠

فقال ما هؤلاء ؟

فقال جبريل عليه السلام : هؤلاء الذين لا يؤدون زكاة أموالهم ، وما ظلمهم الله ، ومازبك بظلام للعبيد ٠

والزكاة هى الركن الثالث من أركان الاسلام ، ولقد حارب عليها سيدنا أبو بكر رضى الله عنه ، وذلك أنه حينما انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى ، قال بعض القبائل من الاعراب :

انا نشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، وسنستمر نؤدى الصلاة ، ونصوم رمضان ، ونحج ، أما الزكاة فانها مادة ومال ولا شأن للدين بذلك وأعلنوا الامتناع عن أدائها ٠

وكان هذا أول تفكير منحرف فى الاسلام يهدف الى

فصـــل الدين عن الدنيا أو عن المادة أو بالتعبير الحديث يهدف الى فصل الدين عن الدولة ، فقال سيدنا أبو بكر سأحاربكم : انه يحارب من أراد فصل الدين عن الدولة ، فقيل له : كيف تحارب من يشهد أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، فكانت اجابته :

ان الشهادتين لهما حقوق اذا امتنع انسان عن أدائها فانه يحارب عليها .

وان من حقوق الشهادتين أداء الزكاة .

روى الامام البخارى رضى الله عنه ، عن أبى هريرة نضر الله وجهه قال :

« لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أبو بكر ، رضى الله عنه وكفر من كفر من العرب (بسبب عدم اخراجهم للزكاة ، وامتناعهم عن تأديتها) فقال عمر ، رضى الله عنه : كيف نقاتل الناس ، وقد قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم » :

« أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ، فمن قالها فقد عصم منى ماله ، ونفسه الا بحقه ، وحسابه على الله ؟! »

فقال : والله ، لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فان الزكاة حق المال ، والله لو منعونى عناقا (١) كانوا

---

(١) أى شاه صغيرة ، وفى روية أخرى «عقالا» والمقصـود اى شيء ولد كان يسيرا .

يؤدونها الى رسـول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها ٠

قال عمر رضى الله عنه : « فو الله ما هو الا أن شرح الله صدر أبى بكر رضى الله عنه ، فعرفت أنه الحق »

من هذا الحديث الشريف نعلم ، أن مانع الزكاة بهذا الوضـع ، وعلى هذه الصورة كافر ، وأنه يحارب حتى يؤديها والا قتل ٠

وقـد حارب سـيدنا أبو بكر رضى الله عنه مانعى الزكاة ، لأنه رأى أن الامتناع عن الزكاة انكارا لها ارتداد عن الاسلام ، ولم ينفعهم ـ فيما رأى سيدنا أبو بكر ، وفيما رأى الصحابة معه ـ صلاة أو صيام ، أو غير ذلك من الشعائر الاسلامية ، ذلك أن الزكاة : ركن من أركان الاسلام ، والامتناع عن أدائها : انمـا هو هدم لركن من أركان الدين ، انها الركن الثالث ، يدفعها من تجب عليه لمستحقيها « ليحيى بها نفوسا ، ويشبع بها بطونا ، ويمسح بها دموعا ، ويزيل بها آلاما ، وينال بها ثوابا وأجرا من الله تعالى ٠ »

وما من شك فى أن الزكاة رابطة بين الانسان وربه ، انها رابطة رضوان من الله ، وأجر وثواب ونماء وبركة ٠

ورابطة شكر من الانسان لله تعالى ، على ما أنعم به وتفضل وأحسن وأكرم ٠

وهى من ناحية أخرى : رابطة بين الانسان وأفراد المجتمع الذى يعيش فيه ·

رابطة مودة وتعاطف وتراحم ،

وقد أنذر الله تعـالى : الممتنع عن أدائهـا وتوعده بعذاب أليم ·

أما الذى يؤديها فقد ذكره الله سبحانه وتعالى ، فيمن رضى عنهم ، وأجزل لهم ثوابه · يقول سبحانه :

« فانذرتكم نارا تلظى · لايصلاها الا الأشقى الذى كذب وتولى · وسيجنبها الأتقى · الذى يؤتى ماله يتزكى · وما لأحد عنده من نعمة تجزى · الا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى »

ويقول سبحانه :

« ولايحسبن الذين يبخلون بما أتاهم الله من فضله ، هو خيرا لهم ، بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به ، يوم القيامة ، ولله ميراث السموات والأرض ، والله بما تعملون خبير »

وبجوار الزكاة يحسن الحديث عن الصدقة ، وسواء كنا بصدد الزكاة ، أو بصدد الصدقة فان الله سبحـانه وتعالى يقول :

« مثل الذين ينفقون أموالهم فى سـبيل الله كمثل

حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبـــة ، والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم »

ويقول سبحانه :

«فأما من أعطى واتقى ٠وصدق بالحسنى ٠ فسنيسره لليسرى ٠ وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى٠فسنيسره للعسرى ٠ وما يغنى عنه ماله اذا تردى »

ويقول سبحانه :

« وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه وهو خير الرازقين »

لقد رأى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، صورة الممتنعين عن الزكاة ورأى أيضا ـ فيما يراه النائم ـ صورة آكلى الربا ، ورأينا أن نتحدث عن الربا ، بعد الحديث عن الزكاة والصدقة مباشرة لما بينهما من فرق ؟ هو الفرق بين الخير والشر ٠

ـ ٥ ـ

الربا

فقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نهرا من الدم يفور كفوران المرجل ، وعلى حافتى النهر ملائكةبأيديهم نار ، كلما طلع طالع قذفوه بها فيقع فى فيه فيشتعل الى أسفل ذلك النهر ٠ فلما سأل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عنهم قيـل له : أولئك الذين أكلوا الربا ، فهم يعذبون بها ، حتى يصيروا الى النار ٠

أما فى رحلة الاسراء والمعراج فانه صلى الله عليه وسلم مر بقوم بطونهم أمثال البيوت ، كلما نهض أحدهم خر على الأرض ، فلما سأل عنهم جبريل ، قال : هم أكلة الربا ، وللصورة البشعة للربا آذن الله سبحانه المتعاملين به بالحرب ، لقد آذن الله بالحرب صنفين من الناس :

١ ـ أكلة الربا ،

٢ ـ المعادون لأولياء الله ٠

أعلن الحرب على أكلة الربا فى القرآن الكريم « **فأذنوا بحرب من الله ورسوله** »

وأعلن الحرب على من عادى الأولياء ، فى الحديث القدسى الذى رواه الامام البخارى :

« من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب »

ورمز المرابى فى ليلة الاسراء ، رجل يسبح فى بحر من الدم ، ويلقى فى فمه قطع من النار يبتلعها : انه يسبح فى الدماء التى امتصها ممن تعامل معهم وما أخذ من قطع النقود تلتهب نارا تصير فى جوفه تحترق وتشتعل فيها ٠

ولا ريب أن الطرف المعارض للصدقة وللزكاة ، الطرف الذى يبغضه الله ، ويبغض المتعاملين به ، هو الربا٠

ولقد حارب الاسلام الربا حربا لا هوادة فيها ، حاربه لأنه مبدأ ليس بانسانى ، واستعمل فى محاربته من التعبير أقساه ، لقد حاربه فى جملته وتفصيله ، يقول الله تعالى :

« **الذين يأكلون الربا ، لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس** »

والمتعاملون بالربا « **أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** »

والله سبحانه وتعالى يقول :

« **يمحق الله الربا ويربى الصدقات ، والله لا يحب كل كفار أثيم** »

ولكنه سبحانه وتعالى يفتح للمتعاملين بالربا أبواب توبته :

ويقول تعالى :

« **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ، وذروا ما بقى من الربا : ان كنتم مؤمنين ، فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، وان تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون** » •

ومما لا شك فيه أن الربا ـ على أية صورة من صوره يتعارض مع الروح الدينية العامة التى هى الرحمة والتعاون •

ونذكر فى نهاية الحديث عن الصدقة والربا والزكاة :

« **وأنفقوا فى سبيل الله ، ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة ، وأحسنوا ان الله يحسب المحسنين** »

وفى هذه الآية الكريمة يشـير الله سـبحانه الى أن الشح والبخل وعدم الانفاق فى سبيل الله انما هو القاء بالنفس الى التهلكة ٠

ويقول سبحانه :

« آمنوا بالله ورسـوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير »

وفى هذه الآية الكريمة يرشد الله سبحانه وتعالى الى أن أصحاب الأموال قد استخلفهم الله سبحانه وتعالى فى ماله هو ، وأنهم مجرد مستخلفين ، وهذا يشير الى أنهم اذا أساءوا فانه يرفع استخلافهم على المال فيصبحوا ولا مال لهم ٠

ويقول سبحانه :

« من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له ، وله أجر كريم »

انه سبحانه وتعالى يضاعفه له فى الحياة الدنيا ٠

ثم يجزل له الأجر يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، ذلك هو الفوز العظيم ٠

- ٦ -

الثبات على العقيدة

نقلتنا هذه الرحلة المباركة من التوبة الى الجهاد مباشرة ،

ثم كانت الصلاة والزكاة ممثلتين لبقية فروض العبادة ٠

وقد تحدثت الرحلة عن أنواع من الآثام باعتبارها ممثلة لما عداها وأن الله سبحانه يحاسب عليها وعلى غيرها من المعاصى اذا لم يبادر الانسان بالتوبة الخالصة النصوح ٠

وقبل أن نبدأ فى ذكر هذه الآثام نتحدث عن قوة الايمان وثبات المؤمنين ، والتمسك بالعقيدة ، حتى ولو أدى ذلك الى الموت على أية كيفية ٠

ان الشهداء من أجل عقيدتهم لهم رائحة زكية تستمر حتى يوم القيامة ، وان الرائحة الزكية التى تنبعث من الأماكن التى استشهدوا فيها والأماكن التى وقفوا فيها ، لتدل دلالة واضحة على أنهم فى رياض من رياض الجنة محاطين بروح من نسماته ومن رحمته ٠

لقد شم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فى مسراه رائحة طيبة ٠

فقال : ما هذا يا جبريل ؟

قال : هذه رائحة ماشطة بنت فرعون وأولادها ٠

أما قصتهم فاننا نرويها على نحو غير السابق فى بعض تفاصيله وان كان الجوهر واحدا .

لقد شم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، الرائحة الطيبة وسأل عنها جبريل فأخبره أنها رائحة ماشطة بنت فرعون وأولادها ، بينما تمشط بنت فرعون اذ سقط المشط من يدها .

فقالت . بسم الله تعس فرعون .

فقالت ابنة فرعون : أو لك رب غير أبى ؟

قالت : نعم .

قالت : فأخبر بذلك أبى ؟

قالت : نعم .

فأخبرته ، فدعاها فقال : أو لك رب غيرى ؟

قالت : نعم ، ربى وربك الله ، وكان للمرأة زوج وثلاثة أولاد ، أصغرهم رضيع ، فأرسل اليهم ، فراود المرأة وزوجها أن يرجعا عن دينهما فأبيا .

فقال : انى قاتلكما .

قالت : احسانا منك الينا ان قتلتنا أن تجعلنا فى مكان واحد ، فتدفننا فيه جميعا .

فقال ذاك لك بما لك علينا من الحق .

فأمر ببقرة من نحاس فأحميت بيزت ثم أمر بهم

فألقوا فيها واحدا واحدا حتى بلغ الرضيع ، وكانت أمه تحمله ولشفقتها عليه تلكأت وكادت ترجع لموافقة فرعون ، فقال : يا أمه قعى ولا تقاعسى فانك على الحق ·

فكان هذا الرضيع ممن تكلموا فى المهد خرقا للعادة ·

وان لنا فى تاريخنا الاسلامى مواقف مشهورة مشهودة، وقف فيها الصحابة رضوان الله عليهم مواقف من لا يبالى على أى جنب كان فى الله مصرعه ·

ففى غزوة بدر استشار رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، الصحابة فى الجهاد ، فقام المقداد بن عمرو ، رضى الله عنه ، وكان من المهاجرين فقال :

« يا رسول الله ، امض لما أراك الله ، فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى : اذهب انت وربك فقاتلا ، انا ها هنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا ، انا معكما مقاتلون فو الذى بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد (١) لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه » ·

وقام سعد بن معاذ رضى الله عنه : وكان من الأنصار، فسأل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عما اذا كان يعنى الأنصار باستشارته هذه ، فلما أجاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بالايجاب ، قال :

---

(١) مكان باليمن ·

لقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك ، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا ، انا لصبر فى الحروب ، صدق عند اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله . »

— ٧ —

الرموز الخاصة باللسان

يقول العرب : « مقتل الرجل بين فكيه » ومن المعروف أنه ممـا يكب الناس على وجوههم فى جهنم ، انما هى حصائد ألسنتهم ....

ولقد حذر الله سبحانه فى كثير من آى القرآن من آثام اللسان ، وحذر رسوله ، صلى الله عليه وسلم ، فى كثير من الأحاديث النبوية عن آثام اللسان .

يقول الله سبحانه وتعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ، ولا تلمزوا أنفسكم ، ولا تنابزوا بالألقاب ، بئس

الاسم الفسوق بعـد الايمان ، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون »

ويصور القرآن مثل المغتاب فى صورة بالغة البشاعة • يقول تعالى :

« ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم »

فقد مثل الله سبحانه الاغتياب :

بأكل لحم الانسان

وجعل المأكول أخا

وجعل الأخ ميتا •

وعقب على ذلك بقوله : « فكرهتموه »

ولقد نالت آثام اللسان فى رحلة الاسراء قدرا موفورا من التشبيه والتمثيل :

١ ــ لقد أتى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، على قوم تقرض ألسنتهم وشـفاههم بمقاريض من حديد ، كلما قرضت عادت كما كانت ، لا يفتر عنهم من ذلك شيء !

قال : ما هذا يا جبريل ؟

قال : هؤلاء خطباء الفتنة ، خطباء أمتك يقولون بما لا يفعلون

٢ ــ وأتى على جحر صغير يخرج منه : ثور عظيم ، فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث خرج ، فلا يستطيع !

فقال : ما هذا يا جبريل ؟

قال : هذا مثل الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة ، ثم يندم عليها ، فلا يستطيع أن يردها :

٣ ــ ورأى قوما أظفارهم من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم •

فقال : من هؤلاء يا جبريل ؟

قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم •

٤ ــ ورأى قوما تقطع لحومهم من جنوبهم ، وتطعم لهم كرها ، فقال : من هؤلاء يا جبريل ؟

قال : هؤلاء : مثل الغمازين والهمازين واللمازين •

٥ ــ وفى احدى رؤاه صلى الله عليه وسلم ، رأى ملكا وبين يديه آدمى وبيد الملك كلوب من حديد ، فيضعه فى شدقه الأيمن فيشقه حتى ينتهى الى أذنه ثم يأخذ فى الأيسر فيلتئم الأيمن •

فلما سأل جبريل عنه قال له :

أولئك الذين كانوا يمشون بين المؤمنين بالنميمة ، ليفرقوا بينهم ، فهم يعذبون بها حتى يصيروا الى النار •

- ٨ -

آثام الجوارح

والجريمة الكبرى ، الجريمة الأساس انما هى الالحاد، يقول سبحانه :

« قل : هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا

الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ؟

أولئك الـذين كفروا بآيات ربهم ولقـائه ، فحبطت أعمالهم ، فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ·

ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزوا · »

وقد وضع الله سبحانه وتعالى للملحدين تمثيلا فى القرآن الكريم بين فيه العلل والأسباب وأوضح فيه النتائج وأسفر عن الصورة صارخة ، واضحة ، لا يحجبها قناع ·

يقول سبحانه :

« واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منهـا فأتبعه الشيطان ، فكان من الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ، انتحمل عليه يلهث ، أو تتركه يلهث ·

ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا . »

وجرائم الجوارح ذكر الله سبحانه وتعالى كثيرا منها فى قوله تعالى :

« قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ، ألا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ، ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون .

ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده . وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ، لا نكلف نفسا الا وسعها ، واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ، ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون . وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون (١) .

ولقد ذكرت الرحلة المباركة بعض الرموز التى تمثل آثام الجوارح ، ذكرت البعض ولم تذكر الكل ، وذلك أنها ما كانت بصدد الاحصاء والاستقصاء .

١ ــ من ذلك مثلا أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم، أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج فى قدر ، ولحم نيىء فى

---

(١) الأنعام : ١٥١ : ١٥٣ .

قدر خبيث فجعلوا يأكلون من النيىء الخبيث ويدعـــون النضيج .

فقال : ما هؤلاء يا جبريل ؟

قال : هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيب ، فيأتى امرأة خبيثة فيبيت عنـــدها حتى يصبح ، والمرأة تقوم من عند زوجها حلالا طيبا فتأتى رجلا خبيثـا فتبيت عنده حتى تصبح . والله سبحانه وتعالى يقول :

« الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهمـــا مائة جلدة ، ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وليشـــهد عذابهمـــا طائفـــة من المؤمنين (١) » .

٢ ــ ثم أتى على رجل قـد جمع حزمة حطب عظيمة لا يستطيع حملها ، وهو يزيد عليها .

فقال : ما هذا يا جبريل ؟

قال :هذا الرجل من أمتك تكون عليه أمانات الناس، لا يقدر على أدائها وهو يريد أن يحمل عليها .

ورسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقول :

« لا ايمان لمن لا أمانة له » .

---

(١) النور : ٢ .

٣ ـ وفى حديث أبى سعيد أنه رأى أخونة عليها لحم طيب ليس عليها أحد ، وأخرى عليها لحم نتن عليها ناس يأكلون ٠

قال جبريل : هؤلاء الذين يتركون الحلال ويأكلون الحرام ٠

٤ ـ وأنه مر بقوم مشافرهم كالابل يلتقمون جمرا فيخرج من أسفلهم ٠

وان جبريل قال : هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما ٠

أما جزاء أصحاب الآثام اذا لم يتوبوا ، فهو دخولهم فى جهنم حيث العذاب ألوانا ٠

وعن جهنم نقــول ان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم أتى على واد فسمع صوتا منكرا ووجد ريحا منتنة ٠

فقال : ما هذا يا جبريل ؟

قال : هذا صوت جهنم تقول : رب آتنى بما وعدتنى فقد كثرت سلاسلى وأغلالى ، وسعيرى ، وحميمى ، وضريعى وغساقى ، وعذابى ، وقد بعد قعرى ، واشــــتد حرى ، فآتنى بما وعدتنى ٠

قال : لك كل مشرك ومشركة ، وكافر وكافرة ، وكل جبار لا يؤمن بيوم الحساب ٠

قالت : قد رضيت ٠

- ٩ -

الوصول الى بيت المقدس

ووصل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس .

وفى رواية أنس عند مسلم :

ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءنى جبريل عليه السلام باناء من خمر ، واناء من لبن فاخترت اللبن .

فقال جبريل : اخترت الفطرة ، أى اخترت اللبن الذى عليه بنيت الخلقة (١) .

وقال النووى : المراد بالفطرة هنا الاسلام والاستقامة .

والخمرة فى التعبير الاسلامى هى أم الخبائث وأخبر الله سبحانه وتعالى أنها رجس من عمل الشيطان ، وقد لعن الله شاربها وبائعها وحاملها ، والمحمولة اليه ولعن عاصرها والمتجر فيها على أى وضع كان . والبيرة من أنواع الخمور « وكل ما أسكر كثيره فقليله حرام » .

وفى رواية ابن مسعود نحوه ـ أى نحو رواية أنس

---

(١) أنظر كتاب الانوار المحمديه ليوسف النبهانى .

السابقة ـ ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين ما بين قائم وراكع وساجد ، ثم أذن مؤذن فأقيمت الصلاة فقمنا صفوفا ننتظر من يؤمنا ، فأخذ بيدى جبريل فقدمنى فصليت بهم .

وفى رواية أبى أمامة عند الطبرانى ، ثم أقيمت الصلاة ، فتدافعوا حتى قدموا محمدا صلى الله عليه وسلم .

- ١٠ -

عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى

ثم عرج ، صلى الله عليه وسلم الى السموات العلا فتجاوزها سماء سماء حتى تجاوز الكون كله وكان عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى : الجنة التى يأوى اليها المتقون من عباد الله . وشم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ريحا طيبة باردة كريح المسك ، وسمع صوتا :

فقال : ما هذا يا جبريل ؟

قال : هذا صوت الجنة : تقول : رب آتنى ما وعدتنى به فقد كثرت غرفى واستبرقى ، وحريرى ، وسندسى ، وعبقرى ، ولؤلؤى ، ومرجانى ، وفضتى ، وذهبى ، وأكوابى ، وصحافى ، وأباريقى ، ومراكبى ، وعسلى ، ومائى ، ولبنى ، وخمرى ، فآتنى بما وعدتنى !

قال : لك كل مسلم ومسلمة ، ومؤمن ومؤمنة ، ومن

آمن بى وبرسلى ، وعمل صالحا ، ولم يشرك بى شيئا ، ولم يتخذ من دونى أندادا ، ومن خشينى فهو آمن ، ومن سألنى فقد أعطيته ، ومن أقرضنى جازيته ، ومن توكل على كفيته، اننى، أنا الله لا اله الا أنا لا أخلف الميعاد ، قد أفلح المؤمنون وتبارك الله أحسن الخالقين ٠

قالت : قد رضيت ٠

- ١١ -

اذ يغشى السدرة ما يغشى

فى ابهام : « ما يغشى » من التفخيم ما لا يخفى :

فكأن الغاشى أمر لا يحيط به نطاق البيان ولا تسعه أردان الأذهان ٠

وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضار لصورتها البديعة ، وجواز أن يكون للايذان باستمرار الغشيان بطريق التجدد ٠

وورد فى بعض الأخبار تعيين هذا الغاشى فعن الحسن:

غشيها نور رب العزة جل شأنه فاستنارت ٠

ونحو ماروى عن أبى هريرة :

يغشاها نور الخلاق سبحانه (عن الألوسى)

المشاهدة

يقول الله تعالى :

« ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى »

ويقول الحديث الشريف : ودنا الجبار رب العزة فتدلى فكان منه قاب قوسين أو أدنى ·

ويقول الامام ابن حجر :

وقد أخرج الأموى فى مغازيه ، ومن طريق البيهقى عن محمد بن عمرو ، وعن أبى سلمة عن ابن عباس فى قوله تعالى :

ولقد رآه نزلة أخرى ·

قال : دنا منه ربه ·

يقول الامام ابن حجر : وهذا سند حسن وهو شاهد قوى لرواية شريك ، ويكون المعنى على غرار « ينزل ربنا »· بعد ذلك نسأل :

هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه ؟ هل شاهد الجلال والجمال ؟

نقول أولا ان الامام الصاوى ذكر بمناسبة تفسير قوله تعالى :

« وما منا الا له مقام معلوم · وانا لنحن الصافون · وانا لنحن المسبحون »

أن هذه الآيات حكاية عن اعتراف الملائكة بالعبودية ردا على عبدتهم . والمعنى ليس منا أحد الا له مقام معلوم في المعرفة ، والعبادة ، وامتثال ما يأمرنا الله تعالى به .

قال ابن عبـــاس : ما في السموات موضع شبر الا وعليه ملك يصلى ويسبح ، ثم يقول :

قيل ان هذه الآيات الثلاث نزلت ورسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عند سدرة المنتهى ، فتأخر جبريل فقال النبى ، صلى الله عليه وسلم :

أهنا تفارقنى ؟

فقال جبريل : ما أستطيع أن أتقدم من مكانى هذا

وأنزل الله تعالى حكاية عن الملائكة :

« وما منا الا له مقام معلوم »

ووقف جبريل واقترب محمد .

ويذكر الامام الصاوى فى قوله تعالى :

« ما كذب الفؤاد ما رأى » أن محمدا صلى الله عليه وسلم ، رأى ربه مرتين ، مرة فى مبادىء البعثة ، ومرة فى ليلة الاسراء ، واختلف فى تلك الرؤية ، فقيل رآه بعينه حقيقة وهو قول جمهور الصحابة ، والتابعين ، منهم ابن عباس ، وأنس بن مالك والحسن وغيره ، وعليه قول العارف البرعى :

وان قابلت لفظـــة : « لن ترانى »
ب « ما كذب الفـؤاد » فهمت معنى

فمـــــوسى خر مغشيا عليه
وأحمد لم يكن ليزيغ ذهنا

وقيل لم يره بعينه وهو قول عائشة رضى الله عنها.

والصحيح الأول ، لأن المثبت مقدم على النافى ، أو لأن عائشة لم يبلغها حديث الرؤية لكونها كانت حديثـة السن . اهـ .

لقد ذهب غير واحد فى قوله تعالى :

« ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى الى عبده ما أوحى » .

الى أنه فى أمر العروج الى الجنـــاب الأقدس ودنوه سبحانه منه ، صلى الله عليه وسلم ، ورؤيته عليه السلام، اياه جل وعلا ، فالضـــمائر فى (دنا وتدلى) و (كان) و (أوحى) وكذا الضمير المنصوب فى (رآه) لله عز وجل.
ويشهد لهذا ما فى حديث أنس عن البخارى من طريق شريك بن عبد الله :

ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمـــه الا الله حتى جاء سدرة المنتهى ، ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى اليـه فيما أوحى خمسين صلاة .. الحديث فانه ظاهر فيما ذكر .

واستدل بذلك مثبتو الرؤية كحبر الأمة ابن عباس رضى الله عنهما وغيره ·

والظاهر أن ابن عبـــاس لم يقل بالرؤية الا عن سماعها ، وقد أخرج عند أحمد أنه قال :

قال رسول الله ، صلى الله تعالى عليه وسلم :
« رأيت ربى (١) »

ذكره الشيخ محمد الصالحى الشـــامى تلميذ الحافظ السيوطى فى الآيات البينات وصححه ·

ثم ان القائلين بالرؤية اختلفوا ، فمنهم من قال : انه عليه الصلاة والسلام ، رأى ربه سبحانه بعينه ، وروى ذلك ابن مردويه عن ابن عباس ، وهو مروى أيضـــا عن ابن مسعود ، وأبى هريرة ، وأحمد بن حنبل ·

ومنهم من قال : رآه عز وجل بقلبه ، وروى ذلك عن أبى ذر ·

يقول العلامة الطيبى : ـ فيما يرويه الامام الألوسى ـ
ولا يخفى على كل ذى لب اباء مقام (فأوحى) الحمل على أن جبريل أوحى الى عبد الله (ما أوحى) اذ لا يذوق منه أرباب القلوب الا معنى المناغاة بين المتسارين مما يضيق عنه بساط الوهم ، ولا يطيقه نطاق الفهم ، وكلمة (ثم)

---

(١) أنظر فى كل ذلك تفسير الامام الالوسى ·

علىهذا للتراخى الرتبى والفرق بين الوحيين أن أحدهما وحى بواسطة وتعليم ، والآخر بغير واسطة بجهة التكريم.

وعن جعفر الصادق عليه الرضا انه قال : لما قرب الحبيب غايات القرب نالته غاية الهيبة فلاطفه الحق سبحانه بغاية اللطف لأنه لا تتحمل غاية الهيبة الا بغاية اللطف ، وذلك قوله تعالى :

« فأوحى الى عبده ما أوحى »

أى كان ما كان ، وجرى ما جرى ، قال الحبيب للحبيب ما يقول الحبيب لحبيبه ، وألطف به الطاف الحبيب بحبيبه، وأسر اليه ما يسر الحبيب الى حبيبه فأخفيا ولم يطلعا على سرهما أحدا والى نحو هذا يشير اليه ابن الفارض بقوله :

ولقد خلوت مع الحبيب وبيننا
سر أرق من النسيم اذا سرى

ومعظم الصوفية على هذا فيقول بدنو الله عز وجل من النبى ، صلى الله عليه وسلم ، ودنوه سبحانه على الوجه اللائق .

وكذا يقولون بالرؤية كذلك .

وقال بعضهم فى قوله تعالى :

« ما زاغ البصر وما طغى » ما زاغ بصر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، وما التفت الى الجنة ومزخرفاتها ،

ولا الى الجحيم وزفراتهـــا ، بل كان شـــاخصا الى الحق (وما طغى) عن الصراط المستقيم ٠

وقال أبو حفص السهروردى : ما زاغ البصر حيث لم يتخلف عن البصيرة ولم يتقاصر (وما طغى) لم يسبق البصيرة ويتعدى مقامه ٠

ويقول الامام الألوسي في صراحة لا لبس فيها :

« أنا أقول برؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم ، ربه سبحانه ، وبدنوه منه سبحانه على الوجه اللائق ، ذهبت فيما اقتضاه ظاهر النظم الجليل الى ما قاله صاحب الكشف، أم ذهبت فيه الى ما قاله الطيبى فتأمل والله تعالى الموفق »

خاتمة

فى بعض آثار الاسراء والمعراج

ومن الثمار التى جنتها الأمة الاسـلامية ، والتى كانت من مقاصد اذاعة النبأ :

انفصال ضعاف النفوس ، والشـاكين والمترددين : انفصال كل هؤلاء عن الأمة الاسلامية الناشئة :

لقد كفر - عند سماع النبأ - من كفر بعد اسلامه وارتد من ارتد بعد ايمانه ، وما كان هؤلاء ، لو بقوا ، الا عاملا من عوامل الضـعف أكثر من أن يكونوا عامـلا من عوامل القوة ، ان هؤلاء المكيين الذين آمنوا ، وصبروا على الحوادث القاسية : على التعذيب وعلى الآلام ، وعلى الفتنة فى جميع مظاهرها ؛ ان هؤلاء المكيين الذين صـبروا ، وصابروا وتخلصت أنفسهم من جميـع النزعات المادية ، ومن جميع الأهواء ، فأصـبحت خالصة لله وحـده ، ان هؤلاء المكيين الذين كان فى تقدير الله سبحانه وتعالى : أن تقوم عليهم الدولة فى نشأتها ، والذين من أجل ذلك يجب أن يكونوا مهيئين لأن يصـمدوا لكل ما يمكن أن يعترضهم من عقبات ، نقول : ان هؤلاء المكيين يجب أن

يصفوا تصفية تامة كاملة ومن وسائل هـذه التصفية :
اذاعة نبأ الاسراء والمعراج :

لينتكس من ينتكس ، وليبقى من يبقى . عن بصيرة وبينة ، وعن ايمان لا يتزعزع مهما كانت الحوادث ، ايمان يصدق الرسول ، صلوات الله عليه ، في كل ما يأتى به ، يصدقه بمجرد انبائه •

والمثل الأعلى فى كل ذلك : انما هو سيدنا أبو بكر ، حينما يعلن فى غير تردد ولا فتور :

« لئن كان قاله : فلقد صدق ، فما يعجبكم من ذلك؟ فوالله انه ليخبرنى أن الخبر ليأتيه من السماء الى الأرض فى ساعة من ليل أو نهار فأصدقه ، فهذا أبعد مما تعجبون منه » •

هذا الايمان المطلق ، بالرسول ، هو الذى جعله ، صلوات الله عليه وسلامه ، يطلق على أبى بكر ، رضوان عليه ، « الصديق » •

و « الصديقية » مرتبة من مراتب الايمان ، لاينالها ، الا من جاهد نفسه جهادا تخطى به ايمان العامة ، وسما فى ايمانه درجة ، الى أن أصبح قائما بالله متجها اليه ، عاملا على مرضاته فى جميع ما يأتى وما يدع •

والأمة الاسلامية ، بأكملها ؛ مطلوب منها ، بالنسبة الى أخبار رسول الله ، صلوات الله عليه ، أن تكون على غرار الصديق ، رضوان الله عليه ، تلقى بقيادها الى أخباره

وتسلم نفسها الى أنبائه ، مصدقة تصديقا كاملا : تصديقا يحملها على العمل بما جاء به ، وعلى اتباع كل ما جاء به ، وعلى الانتهاء عن كل ما نهى عنه ، تصديقا ايجابيا يحقق للامة الاسلامية المجد الذى ترجوه ، تصـــديقا ينفى عن وجودها ، هؤلاء الذين انحرفوا مع المنحرفين ، واستجابوا لنداء أعداء الاسلام : فأخذوا يشككون الناس فى أقوال الرسول ، صلوات الله عليه : فى أحاديثه ، وفى ســـنته زاعمين أنهم من المجددين ، وماهم فى الواقع الا أبواق من أبواق المستشرقين والمبشرين .

ان هذه الأقلام التى تشكك فى السنة وفى الأحاديث النبوية : ليست الا أقلاما مقلدة لا تحمل طابع الأصالة ، ولاطابع التجديد ، وانما تحمـل طابع التقليد ، وطابـع الشك والتردد الذى يتنافى مع الايمان ، ويتنافى مـع الصديقية .

أما ثمرة الاسراء والمعـــراج ، وأما هـدية الاسراء والمعراج ؛ وأما أعظم المنح الالهية فى الاسراء والمعراج : أعظمها على الاطلاق ؟

أما النعمـــــة العظمى ، والتجلى الالهى الاكبر فى الاسراء والمعراج فانه : الصلاة .

ولا يتأتى لنا ــ عجزا وقصـورا ــ أن نتحدث عن الحمد ، وعن الشكر ، على هذه النعمة التى أنعم الله بها على الأمة الاسلامية فى هذه الليلة المباركة .

فالصلاة هى : الصلة به سبحانه ، وهى الكيفية ، وهى الطريقة ، وهى الوسيلة ، وهى اللحظات الجليلة التى تتم فيها الصلة وتتحقق •

انها فترة مناجاة ، فترة انقطاع كامل ، فيجب أن يكون كاملا – عن عالم المادة ، وعن عالم الشهوات ، عالم الفتنة : لتتخلص النفس الى المنعم حتى تنعم فى رحابه بسعادة الصلة به والقرب منه !!!

ومن أقام الصلاة فقد أقام الدين ، ومن هدمها فقد هدم الدين • ان اقامة الصلاة أو اقامة الدين انما هى اقامة الصلة بالله ، وتحقيق ذلك هو المثل الأعلى ، والغاية العظمى ،والسعادة الكاملة التى يجرى وراءها المؤمنون ليحققوا بها معراجهم نحو الله تعالى ، وما من شك فى أن الصلاة – يقيمها الانسان ، كما أراد الله ورسوله – من أنجح الوسائل فى القرب الى الله ؛ انها البراق الذى يجتاز به المؤمن ، فى سرعة سريعة ، طبقات البعد عن الله سبحانه ، ليتقرب اليه تعالى ، فينعم فى رحابه •

هذه وغيرها : من عبر الاسراء والمعراج ، ومن توجيهات الله فيهما : هى التى يجب أن ننتبه اليها وأن نأخذ فى تأملها والانسجام معها •

ان الله سبحانه وتعالى : أخذ يتحدث فى سورة النجم عن آفاق عليا ، وعن أجواء الهية جديدة ، وعن مشارف من السمو ترتد عنها الأمانى حسرى ذاهلة ، لقد أخذ ، سبحانه ، يتحدث عن سدرة المنتهى ، وعن

جنة المأوى ، وعن آياته ، سبحانه ، الكبرى ، لقد أخذ سبحانه ، يتحدث عن : رتب تسقط الأماني حسرى ... دونها ما وراءهن وراء .

ثم ... ثم هوى بنا سبحانه ، فى عنف عنيف ، هوى بنا فى سرعة سريعة دون سابق انذار ، ليفتح أعيننا على مهازل ومهاو من الشرك ، يضل فيهما هؤلاء الذين هم : كالأنعام أو أضل سبيلا ، فقال سبحانه ، بعد أن ذكر هذه التجليات الالهية :

« **أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ؟** »

لقد أرانا سبحانه . بهذه الكلمات : البشرية السكينة فى ضلالها الدينى ، وانحرافها الذهنى .

ان كل من يترك هذه الآفاق العليا ويتجاوزها ليتحدث عن : أن الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، أسرى به بجسمه وروحه ، أو بروحه فقط ، أو أسرى به يقظة ، أو مناما : انما هو بذلك ينحدر بنفسه ، مختارا ، من التجلى الالهى ، ليهوى بها منتكسا الى جو اللاة والعزى ، وينحدر بها منتكسا من جو سدرة المنتهى ، الى الجو المادى ، ومن مجالات النور السماوى المتلألىء الى ظلمة الجدل ، وزيغ المماراة فى الدين .

فلننصرف عنه ، ولنتركه وما اختار . مبتعدين عن الجدل مع الممارين ، ولندعو الله قائلين « ربنا ، لاتزغ قلوبنا ، بعد اذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة ، انك أنت الوهاب » .

الفهرس

دار الكاتب العربي للطباعة والنشر
بالقاهرة

ملتزم التوزيع
في الجمهورية العربية المتحدة وجميع أنحاء العالم
الشركة القومية للتوزيع

مكاتب الشركة بالجمهورية العربية المتحدة

الفرع	العنوان	التليفون / المدينة
١ – فرع شريف	٣٦ شارع شريف	تليفون ١٠٠١٢ القاهرة
٢ – فرع ٢٦ يوليو	١٩ شارع ٢٦ يوليو	٥٥٠٣٢ القاهرة
٣ – فرع ميدان عرابي	٥ ميدان عرابي	٤٢٣٨٣ القاهرة
٤ – فرع المبتديان	١٣ شارع محمد عز العرب	٢١١٨٧ القاهرة
٥ – فرع الجمهورية	٢٢ شارع الجمهورية	٩١٠٧٤٢ القاهرة
٦ – فرع عابدين	١٤ شارع الجمهورية	٩١٤٢٢٣ القاهرة
٧ – فرع الحسين	ميدان الحسين	القاهرة
٨ – فرع الجيزة	١ ميدان الجيزة	٨٩٨٣٦١ القاهرة
٩ – فرع أسوان	السوق السياحي	٢٩٣٠ أسوان
١٠ – فرع الإسكندرية	٤٩ ش سعد زغلول	٢٥٩٧٥ الإسكندرية
١١ – فرع طنطا	ميدان الساعة	٢٥٩٤ طنطا
١٢ – فرع المنصورة	ميدان المحطة	المنصورة
١٣ – فرع أسيوط	شارع الجمهورية	أسيوط

مراكز ووكلاء الشركة خارج الجمهورية العربية المتحدة

الوكيل	العنوان	المدينة
١ – مركز توزيع الجزائر	شارع بن مهيدي العربي رقم ١١ مكرر	الجزائر
٢ – مركز توزيع لبنان	شارع دمشق	بيروت
٣ – مركز توزيع العراق	ميدان التحرير	بغداد
٤ – عبد الرحمن الكيالي	شارع ٢٩ أيار – دمشق	سوريا
٥ – الشركة العربية للتوزيع	ص . ب رقم ١٢٢٨ بيروت	لبنان
٦ – قاسم الرجب	مكتبة المثنى – بغداد	العراق
٧ – رضا العيسى	وكالة التوزيع – عمان	الأردن
٨ – عبد العزيز العيسى	دار التوزيع ص.ب ١٥٣١	الكويت
٩ – وكالة المطبوعات	الكويت	الكويت
١٠ – مكتب الوحدة العربية	شارع عمرو بن العاص – ليبيا	بنغازي
١١ – محمد بشير الفرجاني	٥٣ شارع عمرو بن العاص	طرابلس
١٢ – الشركة الوطنية للتوزيع		تونس
١٣ – وكالة الأهرام	شارع الرشيد	عدن
١٤ – المكتبة الوطنية	المنامة – الخليج العربي	البحرين
١٥ – مكتبة العروبة	ص.ب ٤٢ و ٦١	الدوحة
١٦ – عبد الله حسين الرستماني	المكتبة الأهلية ص.ب ٢٦١	دبي/عمان
١٧ – المكتبة الحديثة	ص . ب ٢٢	مسقط
١٨ – أحمد سعيد حداد	المكتبة الوطنية ص.ب ٢٥	المكلا
١٩ – مكتبة دار القلم	شارع عبد المغني ميدان التحرير	صنعاء
٢٠ – علي إبراهيم شبه	ص . ب ٨٢	أسمرة
٢١ – عبد الله قاسم الحرازي	ص . ب ١٧١٤	أدمر ١٤٦
٢٢ – مكتبة سيتر	ص . ب ٩٣٦	مقديشيو
٢٣ – عبد الله غالم محمد	ص . ب ٨٤٥ ١٠	ممباسا
٢٤ – مكتب توزيع المطبوعات العربية	لندن	لندن
٢٥ – المكتب التجاري الشرقي	٤٠ ش كنطو ص . ب ٢٢٠٥	سنغافورة
٢٦ – مكتبة مصر		الخرطوم
٢٧ – مكتبة الفجر		وادي مدني
٢٨ – زكي جرجس طانيوس	ص.ب رقم ١٥٥	أم درمان
٢٩ – إبراهيم عبد القيوم	مكتبة القيوم ص.ب ٤٨٠	بورسودان
٣٠ – عوض الله محمود دبورة	مكتبة دبورة ص.ب ٢٤	عطبرة
٣١ – عيسى عبد الله	المكتبة الوطنية ص ٢٤٥	وادي حلفا
٣٢ – مصطفى صالح	ص.ب ٤١	كوستي

أسعار البيع للجمهور في الدول العربية

سوريا ٣٠ قرش سوري – لبنان ٣٠ قرش لبناني – الأردن ٣٠ فلس – العراق ٣٠ فلس – الكويت ٤٠ فلس – السودان ٣٠ مليم – ليبيا ٣٠ مليم – قطر ٥٠ درهم – البحرين ٥٠ فلس – عدن ٧٥ سنت – أديس أبابا ٣٠ سنت – أسمرة ٣٠ سنت – الجزائر ٥٠ سنتيم .



د . عبد الحليم محمود

— نال شهادة العالمية سنة ١٩٣٢ م .

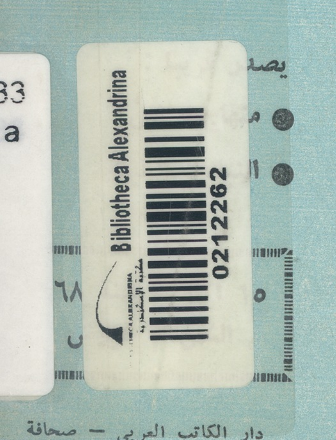
— سافر الى أوربا ودرس الفلسفة وعلم الاجتماع وتاريخ الأديان ، في جامعة باريس .

— عين أستاذا للفلسفة بكلية أصول الدين فعميدا لهذه الكلية .

— عين عضوا بمجمع البحوث الاسلامية .

ترجم الى العربية : محمد رسول الله .
وحقق : المنقذ من الضلال . الطريق الى الله .

وألف : القرآن والنبى صلى الله عليه وسلم . الاسلام والعقل . الاسلام والايمان . المدرسة الشاذلية . العبادة .



المكتبة الثقافية
(جامعة حرة)

- خلاصة الفكر القومى والإنسانى
- تجعل المعرفة متعة تعمق الشعور بالحياة ، وسلاحا يساعد على الانتصار فى معركة الحياة

يشرف على السلسلة
الدكتور شكرى محمد عياد

دار الكاتب العربى — صحافة